

سلسلة أفكار معاصرة

# دين ضد الدين<sup>٢٩</sup>



الشهيد الدكتور  
علي شريعتي

# دين ضد الدين

الشهيد الدكتور علي شريعتي

٢

ترجمة: حيدر مجيد



مؤسسة الطائفة الثقافية

## مقدمة الناشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عندما نتكلم عن شريعتي، لا بد أن نتكلم عن الإسلام -  
الأيديولوجيا.. بما يعنيه هذا المصطلح، من ثورة وفكر وحضارة  
وحاكمية، من هنا طرح شريعتي مفهومه المُوَحَّد والمُوَحَّد هَذَا، من  
خلال ثلاث طرق:

١ - فهم الإسلام فهماً متكاملًا، وعدم الإقتصار على فهم  
الأمور التي تتعلق بحياة الفرد فقط، بل فهم الاقتصاد والسياسة  
والمجتمع والتاريخ ومتطلبات العصر، من منطلق الإسلام ذاته،  
لأنه عقيدة متكاملة، لكل زمان ومكان.

٢ - أن يُطَهَّر الفكر الإسلامي من عناصر الجمود والركود،  
سواءً التي لصقت به عبر عصور التخلف، أو التي أدخلها  
الاستعمار.

٣ - أن يصبح الإسلام ثقافة الجماهير، كل الجماهير، وأن  
يخرج من احتكار بعض المتأجرين بالدين، والذين جعلوا من الدين  
دكتاً للإرتزاق، يروجون به أفكاراً حسبوها ديناً عن علم أو جهل،

إسم الكتاب : دين ضد الدين

إسم المؤلف : د. علي شريعتي

إسم المترجم : حيدر مجيد

تصحيح لقوي وفهرسة : محمود البدري

مراجعة وضبط : حسين شعيب

تنضيد وإخراج : حوراء محمود البدري

تصميم الغلاف : New Moon Ray

الطبعة الأولى : ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م

## قالوا في شريعتي

### الإمام الخميني (قده)

«لقد أثارت أفكار الدكتور شريعتي الخلاف والمجدل أحياناً بين العلماء لكنه في نفس الوقت لعب دوراً كبيراً في هداية الشباب والمتعلمين إلى الإسلام»<sup>(١)</sup>.

### السيد أحمد الخميني<sup>(٢)</sup>

إن ما قدّمه الدكتور شريعتي كان عظيماً، بحيث يتعدّى عليّ الآن الإحاطة به، لأنه في الواقع كان ولا يزال معلّم الثورة الإسلامية.

(١) من كلام للإمام الخميني (رضي)، راجع كتاب «شريعتي درجهان» صفحة ١٩٤، تأليف حميد أحمدني، والمصادر عام ١٣٦٥ هـ. ش، عن شركة مهامي انتشار (الناشر).  
(٢) مصلو فارسي: از كتاب كنلمين راه سوم (ترجميم در منزل دكتر علي شريعتي)، قرّ ما، ١٣٥٩ هـ. ش / ١٩٨٠ م.

ليقطوا الأهداف السامية للدين الحقيقي<sup>(١)</sup>.

وتعبيراً عن هذه الأفكار جاء كتابه هذا - دين ضد الدين - أو «الدين ضد الدين» والذي يعتبر من أقوى كتبه - وأخطرها - ليكون حلقة رئيسية في منظومة شريعتي الفكرية، والتي تعمل على إبرازها من خلال مشروعنا القائم لـ: ترجمة ونشر الأعمال الكاملة للدكتور علي شريعتي، وذلك بالاتفاق مع مؤسسة نشر آثار الدكتور في إيران، بموجب عقد موقع حسب الأصول القانونية، والذي أصبح فيه دار الأمير للثقافة والعلوم - بيروت يملك الحق الحصري بترجمة ونشر آثار الدكتور شريعتي باللغة العربية.

ونحن إذ نطرح هذا الكتاب للنشر، نشوِّج به بالشكر الجزيل للمترجم الأستاذ حيدر مجيد علي ما بذله من جهد جهيد، في ترجمة هذا الكتاب، والذي يأتي بعد ترجمته للكتاب الأول - التشيع العلوي والتشيع الصفوي - ليضيف للمكتبة العربية منارة أخرى من منارات الدكتور شريعتي، ونحن والقراء الكرام بانتظار الانتهاء من ترجمته للعمل الثالث وهو - كتاب معرفة الإسلام - بتصه الكامل، والذي سيصدر قريباً بحونه تعالى.

أخيراً ندعو الله سبحانه أن يوفقنا لأداء هذه الرسالة، معتمدين عليه وحده، عليه توكلنا وإليه نتيب.



(١) يتصرف عن مجلة الشهيد (عدد ٢٠) تاريخ ١٣٧٩/٦/٢٧ م - ص ٣٤.

المستفربين والتابعين للأجنبي ولكل ما يأتي من الخارج، حيث كانت علاقته بالأمة قوية وكان متفاعلاً معها... يستلهم منها ويخاطبها وكان ذلك دأبه ودينه<sup>(١)</sup>.

### الإمام السيد علي الخامنئي<sup>(٢)</sup>

في الحقيقة كان الدكتور شريعتي موالياً، صلب العقيدة وعاشقاً لكل ما هو مقدس في الإسلام، وذلك ما لمسته منه عن قرب، وليس من خلال ما أشيع عنه، أو ما قائلته عنه التيارات الفكرية في حقه، وهنا يمكن أن نستند في تقييمنا للدكتور شريعتي على نقطة مهمة، وهي من خلال مواجهته للتيارات الفكرية الأخرى في ساحتنا، وكانت هذه التيارات تد بدأت عملها من خلاق ثلاثة محاور؛ وهي: مواجهة الحس الوطني، ومواجهة كل ما هو إسلامي، ومحاولة تفتيت الأمة. وكانت تلك التيارات تتقدم بحسب اتجاهاتها، ولكن الدكتور شريعتي لما ظهر على ساحة الفكر الملتزم اختلف مع تلك التيارات في عمله بمقدار ١٨٠ درجة، مما يعني أن الدكتور شريعتي كان له ارتباط قوي بالإسلام، وأنه كان على طرفي تقيض مع خثالة

(١) مصدر لارسي: ويؤامه عيجهدين سالكرد هجرت، وشهادت عكفر علي شريعتي، الناشر: كرد آرونده، محمد علي أمير كل، إيران، وشت، ص ١، از روشنگران وشرعتي، ص ٥٥ - ٥٧، شخراطي رهبر منظم انقلاب در مدرسه عالي شهيد مطهری.

(٢) الرئي الفقيه وقائد الجمهورية الإسلامية في إيران، وكان في أيام الثورة على معرفة وصلة بالدكتور شريعتي.

الدكتور شريعتي، أبوه رجل دين غير معمم، إسمه الشيخ محمد تقي شريعتي. وهو رجل فاضل أسس مؤسسة في خراسان اسمها «مجمع الأبحاث القرآنية». وأنا ألقيت محاضرات هناك، قبل عشر سنوات تقريباً.

الدكتور شريعتي، هو إيراني قروي من قرية «هازينان» في إيران، قرب «كوير» يعني الصحراء في إيران. تخرج من جامعة «الوروبون»، واختصاصه «علم الاجتماع الديني». وعاد إلى إيران، وكان يعطي دروساً في جامعة خراسان، ثم في جامعة طهران، ثم تحول إلى داعية ديني.

له أكثر من مئة وخمسين كتاباً. كتبه، محاضراته، في الواقع، محاضراته أربع ساعات، خمس ساعات، ست ساعات، سبع ساعات إرتجال، تسجل وتُطبع وهكذا.

أديب شامخ، فكره إسلامي نضالي متفتح، إسلاميته، وطبقته، وموقف رجال الدين، لم تجعل من دعوة الدكتور شريعتي، دعوة محافظة، رجعية، يمينية كما هو التقليد، لأن الدعوة الإسلامية، تعتبر في كثير من الأوساط، دعوة محافظة على الأقل، لكن دعوة الدكتور شريعتي للإسلام، دعوة تقدمية، ثورية، نضالية، أو ما نسميه نحن دائماً في إجتتماعاتنا، دعوة حركية، وليس دعوة مؤسسية. يعني ليس الإسلام دكتاتاً يجب أن تحتفظ بمكاسبه، وتأخذ لأجله من الناس، ونسخر الناس لخدمته، كما حصل بالنسبة للمؤسسات الدينية.

## الإمام السيّد موسى الصدر<sup>(١)</sup>

الذي صلى على جثمان شريعتي، في دمشق ١٩٧٧ م

كان لنا صديق، زميل - قائد من قادة الفكر الإسلامي، هو الدكتور شريعتي، توفي في هذه الفترة الأخيرة. وفي «الرسالة» التي ستطبع إن شاء الله بعد يومين أو ثلاثة، يوجد له نحي وصورة، والمعد القادم من الجريدة سيخصص له بإذن الله.

أحببت أن أنقل للإخوان، صورة عن هذا الرجل، وألقي بهذه المناسبة ضوءاً على البعد العالمي لحركتنا.

(١) السيّد موسى الصدر، عن التوفيق، أسس حركة المعرومين في لبنان، والمجلس الإسلامي الشيعي الأعلى الذي ترأسه، وكان له الدور الأهم في إطلاق وتشريع المقاومة المسلحة ضد «إسرائيل»، وضع شعار «إن شرف القدس يأتي أن يتحرر الأمل على أيدي المؤمنين» من هذا الجهد عمل الإمام الصدر على بناء القاعدة الإيمانية الرفيعة على المستوى اللبناني، وتأهل إلى جانب الإمام الخميني الذي كان يعتبره أبناً من أبنائه.

هذا النص أهلاه جاء في الإحتفال الفيليني الحاشد، الذي أقيمته الإمام الصدر تأليفاً للدكتور علي شريعتي في الكلية الشامية في بيروت. وعلى أثره سحب الشاهد المقبور الجنسية الإيرانية من السيّد الصدر.

المؤسسات الدينية اليوم، لها أموالها، ولها أوقافها، ولها رجالها، ولها شؤونها وبروتوكولاتها، ولها خصوماتها، ولقاءاتها، ولها مكاسبها. تماماً مثل الاتحاد السوفياتي أو الصين، بعدما تحولوا إلى دول، ونسوا كونهم حركة إنقلابية عالمية. فبدأوا يفكرون بالاحتفاظ بمكاسبهم، ولأجل الاحتفاظ بهذه المكاسب، يجب التحالف حتى مع الشيطان، أو مع نصف الشيطان، أو مع ربع الشيطان بالتالي، فترى أن الصين الشيوعية اليوم تلتقي مع القوى اليمينية في العالم للاحتفاظ بمكاسبها وللمنافسة مع الاتحاد السوفياتي، والاتحاد السوفياتي نفس الشيء.

إذاً حركة إنسانية، في مرحلة من المراحل كثيراً ما تتحول إلى مؤسسة، متى؟ عندما تشيخ. الحركة في بدايتها شابة، ناشطة، متحركة، تُخيف، تقتحم، تقدم، إلى أن تنتهي أنفاس المؤسسين، فتشيخ، وتفكر كيف تحفظ رأسها، ولا تصطدم مع الناس، تتحالف مع هنا، وهنا، تفكر بالاحتفاظ بالمكاسب.

الدكتور شريعتي، في أحد كتبه، يقول: في فرنسا، رحبت أشتري مجلة «جون أفريك» Jeune Afrique، فوجدت أن الأمن الفرنسي قد جمع نسخ هذه المجلة الغنية الإفريقية، قلت في نفسي: يا سبحان الله! فرنسا، معقل الحريات، مركز جميع أنواع الدهوات، من الشيوعية المتطرفة، إلى التروتسكية، إلى غير ذلك، إلى اليمين إلى الوجدانية، والوجودية، وكل أنواع الفكر؛ كيف فرنسا هذه تخاف من مجلة «جون أفريك» فتجمعها من السوي؟

السبب أن هذه مجلة شابة، حركة جديدة، تقتحم وتخيف، بينما الحركات الأخرى كادت تتحول إلى مؤسسات لها وجودها.

طبعاً الدكتور شريعتي، كان أحد قادة الفكر الإسلامي في العالم. أفكاره قيمة جداً، وكان يحضر درسه الأسبوعي، حوالي ستة آلاف طالب وطالبة جامعيون أو متخرجون، في مؤسسة معينة باسم «النادي الحسيني للإرشاد».

طبعاً خورب من قبل الحكم في إيران، وخورب أيضاً من قبل مجموعة من رجال الدين، الذين يعتبرون الإسلام حكراً عليهم، وميراثه من حقهم، وهم وحدهم يفهمون الدين، ولا يحق لأحد أن يفهم غيرهم.

هذا الرجل بالفعل كان مصدر الإلهام، والتفكير والعطاء لكثير من الحركات الإسلامية، من جملتها حركتنا. ونحن سنحاول، ياذن الله، بالإضافة إلى العدد القادم من «أمل ورسالة» أن نخصص عدداً نلخص فيه أفكاره، ثم نترجم ونطبع أفكاره وكتبه ومحاضراته، حسب التيسر وفي حدود الإمكان، في لبنان، ياذن الله<sup>(١)</sup>.

بدون شك، إن التيار الذي كان يحترم ويكرم الدكتور شريعتي، كان تياراً ساحقاً، تقريباً الشبيهة المسلمة في إيران، وهو الذي جعل التيار الإسلامي في إيران أقوى من التيارات الحزبية

(١) السيد موسى الصدر كان أول من نقل كتب شريعتي ومحاضراته إلى اللغة العربية، وأول كتاب كان الشهادة والذي قمنا بإعادة نشره هذا العام ولكنه - السيد موسى الصدر - ونفس حينها وضع اسمه على الكتاب كترجم أو مترجم. (الناشر).

الأخرى. يعني الجامعة كانت يديهم، والتأثير الإسلامي كان عميقاً في المجتمع الإيراني، حتى أن الشيوعيين امتثلوا للحكم، وبقيت الحركة الإسلامية تقاوم وتناضل وتناضل.

الدكتور شريعتي، من خسائر الفكر الإسلامي، والفكر الحركي، الفكر الثوري المعتمد على الإيمان بالله سبحانه، ولذلك نحن نعتبره فقيداً وخسارتنا، ونكزّمه في هذا اليوم، يوم علي، مولاه ومولانا، ونبعث إلى روحه أيضاً، ثواب الفاتحة<sup>(١)</sup>.

## الشهيد الدكتور مصطفى شمران<sup>(١)</sup>

رفيق الإمام موسى الصدر في لبنان  
وأول وزير دفاع بعد انتصار الثورة

... وأنت أيها الرب الكبير قد منحتنا (علي) لتعلمنا طريق

(١) بعد إضافة الشعب الإيراني المسلم في (١٩٦٣/٦/٥م)، ذهب الشهيد مصطفى شمران (ره) إلى مصر (في عهد الرئيس جمال عبد الناصر) لتلقي تدريبات على حرب العصابات، وبعد إنهائه لتلك الدورة التدريبية أخذ على عاتقه تدريب المجاهدين الإيرانيين خارج البلاد. ونظراً للموقع الاجتماعي الذي يتميز به لبنان، فقد وجد في جنوب لبنان منطقة مناسبة لنشاطاته والتي شارك فيها العديد من قادة ورجال الثورة وسهم لجنل الإمام الخميني (ره) السيد أحمد الخميني (رحمه الله)، وتمكن مع الإمام الصدر (أعاده الله) من تأسيس «سركة المحررين» والتي سبقت فيما بعد بحركة أمل.

عاد إلى إيران بعد انتصار الثورة الإسلامية، فوضع حجر الأساس لمؤسسة حرس الثورة الإسلامية من خلال تدريب أول مجموعة من الحرس. كما ابتنى عن طريق تولي منصب مساعد رئيس الوزراء لشؤون الثورة، لحل المشاكل التي كانت تواجه النظام الإسلامي. عينه الإمام الخميني شخصياً وزيراً للدفاع.

انتخب نائباً عن طهران في انتخابات أول دولة لمجلس الشورى الإسلامي، ثم عينه الإمام الخميني ممثلاً عنه في مجلس الدفاع الأعلى.

(١) مسيرة الإمام الصدر. الجزء ١١ ص ١٥٤ - ١٥٥ إهداء وتوثيق بمقرب شاهر - دار بلال - ط ١، سنة ٢٠٠٠.



العشق والغذاء وطريقته، ليحترق كاشممع وينير لنا الدرب، وما نحن نقدمه لك كأفضل هدية ليستقر عندك ويبدأ حياته المخالفة في ملكوتك الأعلى.

قسماً بالمعدل والعدالة، أنك - علي شريعتي - كالموج المتلاطم تغلي في نداءات المظلومين ضد الظالمين ما دام الظلم والإضطهاد يُنقل كاهل البشر<sup>(١)</sup>.

#### مقدمة للطبعة الفارسية

بسم الله الرحمن الرحيم

الهدف من نشر هذه السلسلة هو أن نقوم - بعمون الله - بتحرير وطباعة كل نتاجات الاستاذ الشهيد الدكتور علي شريعتي، المسموعة فيها والمقروءة، سواء نشرت من قبل أم لم تنشر بعد، وذلك بأسلوب يتوخى الدقة والأمانة ويأخذ بعين الاعتبار جميع التمديلات والآراء التي استحدثت لديه دون أدنى تصرف في ما هو المأثور عنه.

ومن هنا، فإن جميع كتابات وخطابات الاستاذ الشهيد والتي طبعت بلا اشراف منه، سوف يصار إلى إعادة طبعها بعد مطابقتها مع الأشرطة والمذكرات الأصلية، مراعاة للأمانة العلمية وتقديراً لحصول سوء فهم أو توظيف.

نسعى إلى تبويب المطالب ونشر ما كان متوزعاً على كراسات صغيرة أو متوسطة، في كتاب واحد وتحت عنوان واحد، محققين بذلك أحد أمانتي استاذنا الشهيد «تراجع لهذا الغرض وصيته المنشورة في سلسلة الآثار - العدد ١».

كل كتاب أو مجلد سوف يتضمن في آخره فهرس شاملة للأعلام والأمكنة والمصطلحات والمفاهيم. أن مهارة وحنكة استاذنا

وقام بتأسيس قيادة حرب المصلحات في مدينة الأحواز عند بدء الحرب مع العراق، جرح في ميدان الحرب عام ١٩٨٠م، ثم عاد إلى الجبهات بعد شفاؤه. استشهد في ٢١ حزيران عام ١٩٨١م عند إصابته بشظية قذيفة مدفعية في جبهة الحرب بمنطقة الدملانية. (الناشر).

الشهيد في استخدام المفاهيم والمصطلحات الموجودة في تراثنا الاسلامي الايديولوجي وايضاً في الثقافات والممارس الفكرية الأخرى، هو إحدى الباقيات الصالحات لاستاذنا الشهيد، وبالتالي فإن التمتع في هذا المجال يعدّ امرأ ضرورياً لمن يريد أن يوفق إلى التعرف على أفكار هذا الرجل الكبير واستشراف متبنياته الفكرية والعقائدية والثورية، والاستفادة من هذا الرصيد التربوي الغني.

يشار إلى أننا قد نورد بعض الإشارات مدعومة بذكر مصادرها، فيما إذا اقتضت الضرورة، وذلك في قسم الملاحق.

جدير بالتأكيد والملاحظة أن الملاحق تم إعدادها من مكتب النشر، وعليه فهو يتحمل مسؤولية كل الأخطاء والبهفوات والقصور الذي يمكن أن يسجل عليها.

على أمل أن يثمر طلاب الحق وأصحاب الفكر الحرّ الملتمزم في هذه السلسلة على أسلم نتاجات الاستاذ الشهيد وأكثرها نقاء وأصالة.

#### ملاحقات الفاضل

يشتمل هذا الكتاب على ثلاثة أقسام أصلية وقسم رابع خاص بالملاحق يتألف بدوره من أربعة مواضيع.

أما الأقسام فهي كالتالي وحسب الترتيب:

١ - الدين ضد الدين - وهو عبارة عن محاضرة في ليلتين

متوالتين ألقاهما الاستاذ الشهيد في صيف ١٩٧٠ م في حسينية الارشاد بطهران. وقد تم تحويل هذه المحاضرة إلى نص مقروء في حينها وبإشراف من الاستاذ نفسه، ومن هنا فقد أجرى المكتب مقارنة بين النص المحزّر والكلام الموجود على الشريط واكتفى بإجراء بعض التعديلات الضرورية.

٢ - أبتاه، أمه، نحن متهمون - وهذا القسم هو في الأصل محاضرة ألقيت خريف عام ١٩٧١ م في حسينية الارشاد أيضاً، بعدها أجرى الاستاذ بنفسه تعديلات وأضاف لها أموراً أخرى ونشرت سابقاً على هيئة كتاب.

٣ - نعم، هكذا كان يا أخي ١ - هذا القسم محاضرة أخرى ألقاه الدكتور الشهيد خريف العام نفسه (١٩٧١ م) وفي نفس المكان (حسينية الارشاد بطهران)، ومن ثم أدخل عليها إضافات وتعديلات وجاءت توضيحاته على متن المحاضرة المحزّرة.

٤ - الملاحق، وتتألف من الأمور التالية:

الف : توينبي، الحضارة والدين - وهي عبارة عن حوارية كتبها الاستاذ بنفسه، ويبدو أنه أعدّها في ضوء حوارات جرت بينه وبين توينبي في مشهد، ومما يلزم ذكره أنّ هذه المقالة تطلع لأول مرة، وتاريخ كتابتها غير معلوم.

ب : وداعاً يا مدينة الشهادة - وهي مقالة كتبها الدكتور في أواخر

### كلمة مخصوص الترجمة

١ - بالنسبة للقسم الثاني من الكتاب أي محاضرة (أبتاه أماء نحن متهمون) فلم نقم بترجمته في هذا الكتاب لأنه مترجم ومنشور من قبل ، وسيفر عن دار الدير يكتاب مستقل .

٢ - عرفتنا عن ترجمة القسم الأول من الندوة الواردة في الكتاب لاشتغاله على أقوال وكلمات أفراد آخرين، ولم تكن هناك ضرورة ملحة لإيراد كلام الاستاد الشهيد فيها، وذلك أن الندوة الثانية التي خصصت للاستاذ وحده تكاد تكون مشتملة على كل ما أورده في الندوة الأولى فلم نر داعياً لتطويل المسافة على القاري.

٣ - من المناسب التنويه إلى أن الكتاب يشتمل على أقسام متباينة من حيث الأصل فبعضها محاضرة وبعضها مقالة وبعضها حوار في ندوة، الأمر الذي قد يعكس على أسلوب الكلام وبالتالي الترجمة. لذا اقتضى التنويه .

المترجم

شتاء ١٩٧٢ م بعد أن حرم من مواصلة التدريس في جامعة مشهد.

ج : لولا البابا وماركس - مقالة منه لا يعرف تاريخ تحريرها.

د : ندوة للإجابة عن الأسئلة والاشكالات وهذه الندوة كما يظهر من اسمها عبارة عن مجموعة اجوبة عن امئلة واستفسارات وانتقادات موجهة الى حسينية الارشاد بنحو عام وإلى شخص الاستاد شريعتي على الخصوص، وتتألف من قسمين، الأولى انعقدت بتاريخ ١٤/١٢/١٩٧١ م وتحدث فيها اشخاص آخرون ممن لهم نشاط في الحسينية، وحيث أن الحوارات مترابطة، أثرنا إيراد كلمات بقية المشاركين في الندوة الأولى مع إيراد اسمائهم.

في الحتام ، يشار إلى النقاط التالية:

١ - في كل مورد يضطر فيه لإضافة عبارة ربط أو توضيح فاسا نضمها بين حاصرين من نوع [ ] .

٢ - في الموارد التي يتعذر علينا تشخيص كلمة (من مقال أو شريط) أو حتى حدسها يصار إلى وضع العلامة التالية: " ، " .

مكتب تدوين وتصنيف

سلسلة نتائج الشهيد الدكتور علي شريعتي

آذار / ١٩٨٢ م

## الدين ضد الدين

موضوع حديثي لهاتين اللفتين هو (الدين ضد الدين)

وربما يبدو هذا العنوان غامضاً، وهذا الموضوع باجم عن قناعة هامة لدينا بأن الدين كان دائماً ضد الكفر، وأن المعركة استمرت تاريخياً بين الدين واللادين، فيكون التعبير (الدين ضد الدين) منطقياً هلي قدر من الموضوع والمراية والاستبكار، بينما قد توصلت أخيراً - وربما من قبل ولكن ليس بهذا المستوى من الوضوح - إلى أن الحقائق التاريخية تؤيد عكس التصور الالف الذكر وأن الدين لم يكن يواجه إلا بالدين، خلافاً للتصور الساذج الذي يحمله اليوم

بده اشير إلى أن الحديث من التاريخ هنا لا يراد منه المعنى الاصطلاحي الشائع والذي يثيره عادة عن تاريخ ظهور الحضارة أو اختراع الكتابة بل أقصد بداية الحياء الاجتماعية للنوع الانساني على وجه الأرض وفي ضوء ذلك فإن التاريخ الذي اسحدث عنه يعود بداياته إلى ثلاثين أو أربعين وربما خمسين الف سنة، بينما التاريخ بمعنى بداية المدنية واختراع الخط لا يتعدى قدم ستة آلاف عام التاريخ بالمعنى المختار يشتمل على دراسة الآثار القديمة وعلم



الأرض والاجتماع والبحث في القصص والأساطير القديمة بما يوفر لنا علماً أجمالاً حول حياة الإنسان بأجياله الأولى ومنهجه الحياتي والعقدي.

على مدى هذا التاريخ الذي قلنا ان بداياته وصلت اليها عبر الحكايات والأساطير وكلما اقترب الزمن نحونا أصبح في متناول أيدينا مستندات ووثائق بشأنه، كان الدين هو العدو اللدود المناويء للدين السائد، وذلك أن المجتمعات البشرية في جميع مراحلها لم تغل من دين أبداً، اي ان التاريخ لم يحدثنا عن مجتمع عاش بدون دين، في أي مرحلة من مراحل التطور الاجتماعي، وفي أي نقطة على وجه الأرض.

صحيح، اننا ربما نعظم في القرون المتأخرة - حيث سمت مظاهر المدنية والفكر والفلسفة - بأشخاص ينكرون وجود الخالق أو المعاد، غير أن هؤلاء الأشخاص لم يحدث في وقت من الأوقات ان يرتقوا الى مستوى طبقة أو فئة اجتماعية معيّنة. وحسب قول كارل: (إن التاريخ ضم بين دفتيه مجتمعات عاشت وانقرضت ولكن هذه المجتمعات كانت ذات نظم ديني بشكل عام).

إن المحور الذي يقوم عليه مجتمعٌ ما، هو ايمانه الديني ومعتقداته المذهبية، حتى ان المظهر الخارجي للمدن ينعكس حقيقة الوصف الروحي للمجتمع الموجود فيها.

خلال القرون الوسطى، وقبل ظهور المسيح، كانت المدن في الغرب وفي الشرق تتألف من مجاميع من الدور والمباني تحسب على نسق معيّن وبالاتحاد الى معايير طبقية أو قبلية بحيث يكون لكل قبيلة أو طبقة، محلة محددة تقرب أو تبعد عن مركز المدينة حسب المكانة الاجتماعية التي تتمتع بها تلك القبيلة أو الطبقة، وعلى أي حال فإن تقاسماً مشتركاً يمكن ملاحظته في المدن المتحصنة، شرقية كانت أو غربية، كورها تحمل طابعاً رمزياً، أي أن نظم المدينة لا يكون اعتبارياً بل ينطوي على دلالات معينة، وفي الغالب يتم إبراز هذه المدينة من خلال طريقة بناء معيها. طبعاً هذه الحالة آخذة بالزوال والانحرام هذه الأيام. فمدينة طهران مثلاً ليس لها طابع رمزي، بمعنى أن طريقة تنظيم مبانيها وشوارعها لا تستند الى محورية معينة، لا دينية ولا غير ذلك، بينما روعي هذا الأمر في بناء مدينة مشهد، إذ لو أخذنا للمدنة صورة جوية، سوف يتجلى فيها بوضوح انطباع الرمزي للمدينة، حيث تظهر بنايات فيها وكأنها تمحور حول شجرة في الوسط، وهذه الشجرة ترمز الى هوية المدينة وتمثل طائفها الشخصية.

والسؤال الذي طرح الآن، لماذا كان بناء المدن سم بهذه الطريقة الرمزية؟ والجواب واضح، فإن أي حضارة أو دولة أو مدينة لم تكن تقوم في السابق إلا على أساس ومركز ديني. يمكنكم ملاحظة جميع الكتب الموجودة لدينا حول تاريخ بشرة المدن مثل: (تاريخ قسم)

و(تاريخ يرد) و(مضائل بلخ) و(تاريخ بهاري) و(تاريخ نيسابور) وغيرها . مستجدون ان جميع تلك الكتب تتفق على ارجاع ظهور المدينة الى وازع ديني أو مناسبة مذهبية، كأنهم غير قادرين على التصديق بأن مدناً كبيرة كهذه يمكن أن تبنى التور دون أن يكون وراء ذلك عامل ديني أو معنوي، فلا بد من وجود بؤى مدفون في المنطقة التي توجد فيها المدينة، أو شخصية دينية صالحة، أو معنى وأقمة دينية من ظهور مسجدة أو غيرها. خلاصة الأمر أنه لا بد من افتراض مبرر ديني وعقدي لوجود مدينة أو نشوء كيان حضاري . وهذا يكشف عن حقيقة معادها أن المجتمعات الانسانية القديمة، وعلى اختلاف انواعها واثماطها، كانت تأتلف على أساس عنصر مشترك هو (روح الدين) الموجودة في ضمير الانسان القديم مهما كان نوع المجتمع الذي ينتمي اليه، طبقياً أو قبلياً، حضرياً أو بدوياً

وفي ضوء ذلك فإن ما نعهم اليوم من كلمة (الكفر) من عدم الاعتقاد بما وراء الطبيعة والله والمعاد والنسب والمقدسات، ليس له واقع موضوعي، وذلك أن جميع انباء البشر مستقون على الايمان بهذه المبادئ والأصول العامة . واما المعنى الذي نعهه اليوم من (الكفر) بمعنى اللادين فهو معنى مستحدث وطاريء ، ويعود الى القرنين أو الثلاث قرون الأخيرة، أي فترة ما بعد القرون الوسطى، وهو معنى قام اقرب بتصديره الى المشرق كصناعة فكرية، في ضوءها أصبح الكفر

يعنى عدم الاعتقاد بالله وبكل ما وراء الطبيعة والعالم الآخر، بينما اذا ألقينا نظرة على تاريخ الاسلام وتوضوحه القديمة بل تاريخ جميع المذاهب والاديان يتضح لنا أنه منى ما جرى الحدث عن الكفر فليس يشون بذلك الحالة اللادينية، وذلك أن حالة كترك لم يكن لها وجود أصلاً

وعند الكفر هو نوع من الدين أيضاً، يطلقه أهل الأديان عادة على من لا يستحل تحلهم ولا يدين بديانتهم. ولهذا قد تتقابل الإطلاقات ما بين أهل ديانتين فيعتبر كل منهم الفريق الآخر كافراً

والعاصل أنه متى ما ظهرت دعوة دينية، سواء على صعيد تاريخ الأديان الابراهيمية أو على صعيد المذاهب الغريبة والشرقية وبأى نحو كانت، هناك قصبتان أساسيتان :

الأولى : أن هذه الدعوة الدينية تظهر على رغم وجود الديانة السابقة بل لمواجهتها

والقصة الثانية أن الديانة القديمة وأهلها سوف يكونون أول من بضن الحرب ويعلى المواجهة ضد القادم الجديد.

وحينئذ فنحن لأن باراء قضية في عامة الأهمية، من شأنها أن تحل أهم المشكلات المعاصرة على صعيد إصدار الأحكام بواسطة الشخصيات المستتيرة في عالمنا هذا، وتسهم في التحليل العلمي

والتاريخي لأخطر حكم أصدره المستشرقون حول الدين، والفاطحي بأن الدين يتنافى مع الحضارة والتقدم وإرادة وحرية الشعوب، أو هو في أحسن الأحوال غير قادر على مواكبة هذه الأمور.

وهو حكم لم يأب جزافاً بل على أساس مفردات واقعية وأرقام علمية وتجارب تاريخية متكررة. إن هذا الحكم ليس حكماً تصفياً ناجماً عن حقد وكراهة أو جهل مطلق، وإنما هو حكم مستند إلى مبررات علمية ومشاهدات عينية ووقائع اجتماعية وتاريخية مدعومة بأدلة وأرقام.

ومع ذلك، فإننا اعتقد أن هذا الحكم غير صائب، وذلك لأن أصحابه وقعوا في الخطأ ذاته الذي وقعنا نحن - أنصار الأديان - فيه، وذلك في عدم التفريق بين الدينين، وتعميل الموازنة بين الدين واللادين، فنبيل أولاً إلى إثبات الدين بشكل إجمالي عام ومن ثم تنتقل إلى إثبات ديننا بشكل خاص، وهذه منهجية خاطئة في البحث. هذا الخطأ وقع فيه المصنفون للأديان في أوربا في القرنين الأخيرين خاصة القرن التاسع عشر حيث بلغت فيه موجة المناهضة للدين أوجها في أوربا والسبب عدم قدرتهم على الفرز بين شكلين من الدين مع شدة الاختلاف بل والتناقض والتخاصم الدائر بينهما على الدوام، وبالتالي أصدروا حكمهم بناء على وقائع وأرقام حسية وواقعية لمسوها من خلال النمط القائل من الدين، وحيث لم يكونوا قادرين على إدراك النمط الآخر

عشروا الحكم على الدين بطلق اشكاله دون أن يشعروا بأن الحكم الذي أصدره ينطبق على نصف الحقيقة ويهمل نصفها الآخر، بل وسجى عليه، وذلك لأنه ثمة نمط آخر من الدين يختلف اختلافاً جوهرياً عن النمط الذي اصطدموا به وبممارسات أتباعه، وهذا الاختلاف ينسحب على جميع خصائص وصفات كل نمط بحيث لو أردنا إثبات صحة لأحدهما تبين تنبها عن الآخر.

وأود الإشارة هنا إلى نقطة في غاية الأهمية، وهي أنني ربما ألماً إلى استخدام نفس المصطلحات المتداولة بيننا، ولكن أعني منها معنى غير المعنى الراجح والشائع، لذا أرجو من الأخوة أن لا يسارعوا إلى فهم المصطلحات وفق ما هو مرتكز في دماغهم ومن ثم يصدروا أحكامهم على خلاف المعنى الخاص بي والذي أريده من الاصطلاح الوارد في كلامي، وسوف ألجأ إلى تحديد المفاهيم التي أعنيها من المصطلحات التي أكثر استخدامها، تحسباً من وقوع لبس أو غلط بين معنيين متمايزين تماماً، وهذه الاصطلاحات هي: الكفر والشرك وعبادة الأوثان.

#### الكفر

الكفر بمعنى السخر والسخرية، وهو من الزراعة حيث تزرع الحبة

ومن ثم تطلى بالتراب. ووجه الاقتباس أن الكافر يغطي على الحقيقة الناصية في قلبه لأسباب وعلل كالجهل والانتهازية، والكفر ليس بمعنى تطلية الدين باللاادين بل بمعنى تطلية الدين بواسطة دين آخر

### الشرك

هل يمي الشرك عدم وجود الإله؟ كلاً، إذ المشركون لهم آلهة أكثر مما! المشرك ليس هو الشخص الذي لا يؤمن بالله إذ لا وجود لشخص كهذا

ومن النظم أن الدين وقفوا بوجه عيسى وموسى وإبراهيم هم مشركون وليسوا ملحدين. فمن هم المشركون إذن؟ بالطبع ليسوا اشخاصاً لا يؤمنون بالرب، بل على العكس هم فئة يؤمن أفرادها بأرباب كثيرين، وعليه لا يمكن من الناحية العلمية إطلاق وصف المشرك على أفراد عديدي الاعتقاد الديني، وذلك لأنَّ المشرك يعتقد بوجود معبود، بل أكثر من معبود، وهو يؤمن بمبوديته لهذا المعبود ويعتقد بتأثيره في مصيره ومصير العالم الذي يعيش فيه، وهو يمتلك نظرة إلهية مثلما لدينا تلك النظرة

وعليه فمن الناحية الحسية يمدُّ المشرك انساناً متديناً وإن أخطأ الهدف من حيث المصادق وسلك طريقاً مغلوطاً. وواضح أن الدين

السلط شيء واللادين شيء آخر يختلف عنه اختلافاً جوهرياً. وحينئذ يمكن القول أن الشرك دين، بل هو أقدم أنواع الأديان في حياة المجتمعات البشرية

### عبادة الأوثان

إن عبادة الأوثان ثور خاص من ألوان الشرك، وليس قسناً مرادفاً للشرك، فالشرك عنوان لدين معروف على طول التاريخ، وعبادة الأوثان كان شكلاً من أشكال هذه الديانة في إحدى مراحلها التاريخية. ولك أن تقول إن عبادة الأوثان هي فرقة من فرق الشرك يتميز اتباعها بأنهم يصمون التماثيل والأصنام إيتا لكي يعبدوها أو لكي يقتربوا بها إلى المعبود الأصلي ويعتبروها واسطة بينهم وبينه، وعلى أي حال فإنهم يؤمنون بأنَّ له قدرة تأثير على مجرى الحياة بشكل أو بآخر

غير أن القرآن عندما يهاجم (المشركين) عبدة الأوثان) وينتقدهم، يستعيد من الفاظ عامة وذلك تحسباً من إقناع الناس بالخطأ الذي وقعوا الآن فيه، ولكي لا يفهم من القرآن أن الاسلام قام لمواجهة خصوص هذا النمط من الشرك بالله -نمط عبادة الأوثان- بل أن النهضة الدينية التي قادها النبي تستهدف الإطاحة بكل مظاهر الشرك مهما كان



شكله ولونه. شأنه في ذلك شأن سائر الأديان والحركات التوحيدية

اتنا تقع في وهم كبير عندما تصور أن الطرف المقابل لنا (دين الشرك) يتجسد في شكل واحد هو عبادة الأصنام، هي حال أن قوله تعالى: ﴿أَتَعْبُدُونَ مَا تَحْتُونَ﴾ يستبطن - بنفسه - الرد على هذا الوهم الابتدائي، وذلك إما لو راجعنا التاريخ بطوله والجغرافيا بعرضها نجد أن البشرية لم تقتصر على نحت الصخر ومن ثم عبادته، بل نحتت لها مختلف الأمور، مادية أو غير مادية، ثم تعلقت بها إلى حد العبادات، وهذه ظاهرة إنسانية عامة عانت منها المجتمعات البشرية وسأبي إلى الآن بصور مختلفة، يشكل عبادة الأوثان نموذجاً منها طبقى وما زال يطبق في بعض المجتمعات الجاهلية العربية والأفريقية

﴿أَتَعْبُدُونَ مَا تَحْتُونَ﴾ عبارة عن مبدأ عام يتضمن تحريفاً معمولاً لأسلوب العبادة في دين الشرك، ذلك الدين الذي ظل يواكب دين التوحيد خطوة بخطوة على مر التاريخ، ولم يتوقف أو ينقرض لافي عصر النبي إبراهيم ولا بعد ظهور الإسلام، بل ما يزال قائماً وسيبقى

#### خصائص دين الشرك

(هذا بحث في تاريخ الأديان، وسوف أبذل سعيي لاستخدام

مصطلحات مأخوذة ومتداولة على صعيد الإسلام وبرائنا الأدبي،

هي محدثتي المواجعة يقف دين التوحيد وعبادة الله بمعنى العلم والارادة والحالقية والتدبير، هذه هي صفات الرب في جميع الأديان الإبراهيمية، الخالق لأنه خلق هذه العالم بأسره، والمدير لأن حركة هذا العالم تجري بإرادته. وهو مريد له مطلق الحرية في الحكم على الوجود، وعالم لأنه يشرف إشرافاً تاماً على كل ما في الكون في الوقت نفسه فإن هذا الرب حدد هدف انحلقة وعاية وجود العالم، ولقد كانت عبادة هذه القوة المطلقة تمثل الشعائر الأعلى الذي رفعت به جميع الأديان الإبراهيمية، وعرف به إبراهيم شخصياً، وهذا الشعائر يعني دعوة جميع بني البشر إلى عبادة قوة واحدة نابعة في الوجود، والسير نحو هدف واحد للحلقة، والإيمان بوجود قدره واحدة مؤثره في كافة أنحاء الوجود والاستناد إليها في جميع ساحات الحياة

#### التوحيد

إن الدعوة المعروفة تاريخياً بدعوة التوحيد، لها بعد مادي يرتبط بهذا العالم، ويتمثل بأن من يؤمن بأن هذا الكون بأسره مخلوق بواسطة قوة واحدة، وإن هناك قدرة واحدة تتحكم بأطراف هذا الوجود من مجتمع انساني أو حيواني أو نباتي أو حتى الجمادات، دون أن يؤثر في هذا الوجود شيء آخر، آنذاك يكون من شأن هذه الرؤية التوحيدية

الالهية ان يكون لها انعكاس على صعد الحياة الانسانية، لأن من يؤمن بأن الكون عبارة عن امبراطورية واحدة يحكمها مصدر قوة واحد، وان البشر حاصعون لإرادة واحدة وينتمون الى جسد واحد ولهم الله واحد تصمحل أمامه كل الوجودات والمظاهر والقوى الأخرى، أن من يؤمن بذلك سوف ينظر الى هذا العالم نظرة كلية يراه من خلالها كأنه جسد واحد تتحكم فيه روح واحدة، وحين ينظر الى البشر يراهم أفراداً متساوين ومتماثلين لأنهم خلقوا بيد واحدة وعلى وتيرة واحدة

هذا الدين التوحيدي هو أحد الديانتين اللتين اشترت لهما، وهو يعرم على أساس عبادة رب واحد والايمان بقوة واحدة مستنفدة هي مصير لمجتمعات الانسانية على طول التاريخ وكما قلت فإن من لوازم توحيد الإله توحيد العالم ومن لوازم توحيد العالم توحيد الإنسان من جهة أخرى فان هذا الاعتقاد البشري يمثل ميلاً فطرياً نحو عبادة القوة الواحدة والايمان بالقدااسة - بحسب تمييز دوركايم<sup>(١)</sup> - أو الايمان بالقيم بالتمييز القرآني والدليل على فطرية هذا الاعتقاد

(١) دوركايم (١٨٥٨ - ١٩١٧)، عالم اجتماع فرنسي معروف، كان استاذاً في جامعة أسوريون، كان دوركايم يعتقد أنه يهتم على علم الاجتماع أن يدرس المجتمع كنوع خاص من الواقع الروحي. تختلف قوانينه عن قوانين علم النفس الفردي له عدة مؤلفات منها: «حول تقسيم العمل الاجتماعي»، «قواعد السبوح في علم الاجتماع»، «الشكالات الأولية للحياة الدينية» انظر: الموسوعة الفلسفية، ص ٦٠٠ (مترجم)

وفطرية كل اعتقاد آخر هو دوم هذا الشعور وشموليته لجميع الافراد لجميع الأرومان ما يدل على أنه امر غريزي. ولو أردنا ان نستقصي في اهمى التاريخ لما وجدنا أمة عاشت بلا دين ولا عبادة

إن هذا الشعور والحس التبعدي الملموس في هذا الدين يترجم الى معرفه بهذه القوة المشرفة على العالم، وبالتالي التعرف على العالم كموجود حي قادر حساس له ارادة وغاية وهدف. مصافاً الى ان هذا الشعور النبوي التوحيدي سوف يتجلى تاريخياً في واقع اعتقاد يوحده البشرية بشتى ألوانها وأقوامها وطبقاتها وأعراقها ومن ثم وحدة الحق والقيمة والمرلة

وعلى الخط الآخر، سيقود ديس الشرك أصحابه الى نسجة معاكسة فتمحول الشرك في كل حقبة زمنية الى عدو لدود لأديان التوحيد بها جمها أو يماومها ويعول دون اتساع الرقعة الجغرافية أو السكانية التي تمتد عليها.

لا توجد فرصة للتطرق الى تاريخ الأديان بتفصيل يستعرض مفردات وحقائق هذا الموضوع بشكل تام، غير أن بمقدورنا بحث ديس الشرك من خلال دعوات الأنبياء العظام، وفي هذا السياق تؤكد لنا القصص الواردة في التوراة والكتب المرتبطة بها وكذلك قصص القرآن والروايات أن أعتى قوة جاليت رسالة النبي موسى وألحقت بها أشد الضربات هي حركة (السامري) و(بلمع بن باعورا)

### السامري

بعد نجاح موسى في إقناع قومه بالتوجه لعبادة الله الأحد وهجر عبادة الأوثان والمجمل والوجودات الأسطورية التي كانت تمثل جميعاً مظاهر لدين الشرك آنذاك، في ذلك الوقت ظهر السامري كيهي من جديد سنة عبادة المجمل بأن اغتشم فرصة غياب موسى عن قومه فصبح لهم هجلاً ودعمهم لعبادته

ذلك الرجل الذي تحت هجلاً بعه أن يعيده بو إسرائيل بدلاً من (يهوه) و (الله) لم يكن إنساناً لا دين له، بل هي العكس كان مسلماً لمعنيته ودعية للدين!

### بلهم من داهور

هل كان هذا الرجل فيلسوفاً مادياً أو ملجداً دهرياً أو شخصية مثل مترلينج أو شويهاور<sup>(١)</sup> أكلاً، بلهم من داهور كان صاحب أعلى مقام ديني في زمانه، وكان كنية المتدينين وعموم الناس في ذلك الوقت، ومع ذلك فقد نهض لمعارضة دعوة موسى النبي مستغلاً إيمان الناس

(١) آرثر شويهاور، فيلسوف ألماني، ولد عام ١٧٨٨، وتوفي عام ١٨٦٠. من أشهر كتاباته كتاباته كإرادة وكثورة. (المترجم)

وتقتهم به، ما أدى إلى انزال ضربات مؤثرة بدين التوحيد ورسالة موسى

### الفريسيون

انظروا إلى عيسى! من كان سبب معاناته الطويلة والمعائب التي ظل يتعرض لها إلى اللحظة الأخيرة.. و -يرعهم - الإيابة التي تعرض لها، وغير ذلك من الممارسات البشائية والتهم والافتراءات التي وجهت إليه وإلى أمه؟ من كان وراء ذلك سوى الفريسيين، أقتناع وانصار الذين انقائم في ذلك الزمان، لم يكونوا مادييين ولا رفاق ولا دهريين، بل هم أناس ظفوا يمتدون بدين الشرك الذي جاء عيسى لاجتثاث جذوره.

### مشركو مكة

وانظروا إلى بني الاسلام، هل كان الأشخاص الذين عقدوا لواء المعارضة والمساواة له وسأوا سيوفهم عليه في بدر وأحد وهجوا والطاقف ومكة، هل كانوا بدون دين أو لم يكن لهم حسن ديني؟ كلا لا يمكن القول على شخص بينهم كان بهذه المواصفات، كانوا جميعاً أصحاب عقيدة، حقيقة أو ادعاء، وكان شعارهم القضاء على النبي، على

محمد بن عبد الله وأتباعه، بذريعة انتهاكهم لحرمة بيت إبراهيم، ولأنهم صلبوا عن دين آبائهم وجرقوا الأصول والمقدسات، اتهم يريدون القضاء على هذه الأرض المقدسة (مكة) وتعظيم الأصنام التي هي الواسطة بين الله وعباده. وعليه فالشعار الذي رجمته قريش والعرب من ورائها ضد الاسلام والذي هو شعار الدين ضد الدين.

ومن بعد النبي، استمر هذا الشعار يرفع ولكن بشكل مختلف، هذه المرة بوجه علي واتجاهه الذي كان يحمل روح الاسلام الحقيقي وسعى للحفاظ عليه، من الذي واجهه علياً هل هم الكفار ومن ثم يكن لهم دين، وهل كان الشعار المرفوع يدعو الى انكار وجود الله، أو ان الاعتقاد بسقط آخر من الدين في مواجهة النمط الأصيل، هو الذي أدى الى نشوب المعركة - تاريخياً - بين آل النبي وآل أمية ومن بعدهم آل العباس

إن عبادة الله هي أبرز خصائص هذا الدين الأبراهيمي - وإننا اصطلاح هذه بالأبراهيمي كيبا تحسب لكم مهمة يوضح - فعلى مر التاريخ كن تمة دين توحيد يدعو الى عبادة معبود واحد هو خالق كل الكون والمهيمن على كل شيء - فيه وهو الذي يرسم الطريق للبشرية جمعاء ويحدد هدف التاريخ ويصوغ القيم الإنسانية على مقياس محدد، وهذا الدين يفت بوجه كل الحركات الداعية لعبادة المخلوقات من أيضا آدم الى النبي الحاتم والى نهاية المطاف البشري. ويصورهم يفت عبدة

الطاهوت - على اختلاف أصنافهم - بمواجهة هذه الحركة الاعتقادية التي تدعو الانسان الى لاثبات ثوابيس الكون الكبري والتسليم بآراء الإزادة الإلهية الحقة التي رست طريق الخفة وحددت لها هدوها العظيم وغايتها القصوى مستتلة بالله! هؤلاء المبيدة لا يألون جهداً بالوقوف بوجه دعوة كهده اسمها (الاسلام)<sup>(١)</sup> ويتعمدون وصح المراقين في طريق أهدانها

بيد ان هذا الدين الذي يد الى الاتياد المطلق لإرادة الرب، هو - في الوقت ذاته والسبب ذاته - يدعو الى الثورة والطمح على كل ما سواه، وكل خطاب فيه الى عبادة الله ينجز تلقائياً الى سب عبادة الطاهوت. وعلى انجاب الآخر يحصل الشيء ذاته مع دين الشرف حيث يدعو أتباعه الى الطمان بوجه ماوس الكون الاعظم والتمرد على الإرادة الالهية ورفض دهوة الاسلام، وذلك امتداداً لدعوته الى جهردة القوى والأطراف الأخرى التي تجسد بحسبها مفهوم الأبهة المتعددة

أشركه يعني الطمان على الميودية ش، ولكنه في نفس الوقت يعني الميودية والتسليم للأصنام (بمعناها الشامل لكل ما يتخذة البشر آلهة زوراً وتزويراً بمعونة جهل الناس وظلم انصاكنين). إن عمل

(١) القرآن يصرح بأن الاسلام هو اسم لجميع الأديان الحق، فإن الدين عند الله الاسلام

الطاعوت يتجني في الظلمان يوجه القوة العظمى الهيمنة على عالم الكائنات، وأيضاً في التسليم بوجه (ما تتحتون) وهذه (الما تتحتون) شاملة لكل ما هي شأنه ان يكون صمّاً بعيد من لآلٍ وعري أو مأكنة ورأسمال أو دم وعري، ان هذه جميعاً مبادئ تنبئية لمهيم الطاعوت الذي يقف في مواجهة الله.

ومن خصائص دين التوحيد أيضاً الطابع النقدي الهجومي الفردي الذي يتصف به، وذلك في مقابل الطابع التبريري الذي يشكل السمة الاكثر بروزاً من بين السمات الأخرى لدين الصورك بمفهومه الأوسع

#### ماهية الدين الثوري

الدين الثوري، هو دين يشدّي انبعاثه وممتنّ به برؤية نقدية حيال كل ما يحيط بهم من بيئة مادية أو معنوية، ويكسبهم شعوراً بالمسؤولية تجاه الوضغ القائم يجعلهم يفكرون بحريته ويسعون لذلك فيما لم يكن ماسماً

ان السمة الأساسية لهذا الدين -الدين الترحيدي- انه يتفادي تبرير الوضغ القائم تبريراً دينياً ولا يؤمن بمبدأ الرصوغ للأمر الواقع أو اتحاد موقف اللامبالاة بحال ما يحيط به. لاحظوا حركة الأشياء.

سوف يصحح لكم ان الاديان التوحيدية خاصة في مراحل ظهورها الأولى أي فترة قائلها عن الشوائب والتشريف، تتسم صادة بطابع وانفس للوضغ القائم وزرعة ثورة وتعد على كل جور وفساد، وهذا التحد والظلمان يأتي متصاحباً مع العبودية والخصوع لموجود الكون، والانتقاد لقواس الوجود التي تتجلى فيها الارادة والقدرة الإلهيتان.

أمسوا النظر في جمع الأدبان، موسى مثلاً بعض تأخرأ بوجه الاضطراب الثلاثة، فارون اكبر رأسمالي في زمانه، ويلم بن باهورا مثلاً لأكبر شخصية دينية البحرية، وفرعون الذي بيده القدرة السياسية لذلك العصر

والآن ما هو ذلك الوضغ لموجود؟ انه المدّة التي طوّقت رقاب الأسباط بواسطة الأقباط، في واحدة من اجلى ممارسات التمييز العرقي حيث كان الأقباط يتصرفون مع الأسباط من منطلق الشعور بالقوة والاستعلاء.

انها حركة تورية لمواجهة وضغ اجتماعي طبقي حاسد يسوّغ لبعض الطبقات استغلال الطبقات الأخرى وتهدف هذه الحركة الى استبدال الوضغ القائم بوضغ آخر مثالي وتحقيق هدف محدد للحيات وهو تحرير قوم من الأسر وارشادهم الى الارض الموعودة وتأسيس مجتمع يقوم على دعامة المقدمة والرسالة الاجتماعية الرافعه لعبادة

الطاعات، والنضياء على الطواعيت الذين يبرزون حتى أنواع المصيرية والتصين، ومن ثم نقرر مبدأ التوحيد لكي تتجلى فيه الوحدة البشرية والعدالة الاجتماعية.

#### ماهية الدين القويوي

يسمى دين الشرك دائماً إلى تبرير الوضع القائم عبر تبرير الاعتقاد داب الصلة بما وراء الطبيعة ويسمى إلى تحريف الاعتقاد بالجماد والمعدسات والقوى الخفية ويشوه المبادئ والمبادئ والدينه ليقنع الناس بأن وضعهم الراهن هو الوضع الأمثل الذي يجب ان يرضوا به لأنه مظهر لإرادة الله تعالى وهو المصير المحتوم الذي كتبه الله عليهم

ان القضاء والقدر بالمعنى الذي نفهمه اليوم هو من مخلفات مماوية وأرث منه فالتاريخ يروي لنا ان الاعتقاد بالقدر والقول بالجمير أمور ابتداعها حكام بني امية ليشلوا من المسلمين الشعور بالمسؤولية ويحرموهم من خلاله من كل أنواع النقد ويقتلو روح المبادرة فيهم لأنّ انجر يمس الانصياع إلى كل ما هو موجود والحضور لكل ما هو كائن في حين كان اصحاب النبي (ص) يشعرون دائماً بالمسؤولية الاجتماعية ويأخذونها على عاتقهم كمهمة أساسية ودائمة

#### الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

ان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر اللذين يتبادران إلى أذهاننا بمصاهما اميتدل الذي لا يسما التحدث عنه في الأوساط الفكرية المتقدمة، هما عبارة أخرى عما يستتبه المنكر الاوربي اليوم «المسؤولية الانسانية» أو «مسؤولية المبدع» أو «مسؤولية المستف» ماذا تعني المسؤولية المبحوث عنها في الفلسفة والفن والأدب في عالمنا اليوم؟ أنها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بمعناه غير انت مسخبا من هذين المبدأين بحيث اصبح العمل بهما عملاً مبرهناً وصحياً

#### استمرار دين الشرك

ان رسالة دين الشرك وهدفه كما ذكرت آنفاً هي تبرير الوضع الموجود. ما هو المقصود من تبرير الوضع الموجود؟ نحن نجد أن أبناء المجتمعات البشرية قد صوّروا في التاريخ إلى الشرير والوصع والفساد والميلد والميلد والمستفيد، وبرى الشرائع والطبقات الانسانية قد قسّمت إلى فئات داب ماء وتراب وعرق مذهبي وفئات أخرى غائقة لكل هذه المراتب. وشعرى ذات افضلية دائمة على الشعوب الأخرى وطبقات اجتماعية مفصلة على الطبقات الأخرى وقبائل مرجحة على القبائل

الأخرى. هذه المعتقدات السائدة في حياة الناس هي في حد ذاتها جاءت تنبؤ الوصع الموجود

يجب أن يكون هائله تعدد في الآلهة وتعدد في أقاليم الالهية لكي يتحقق ويستمر التمدد القسوي والطغياني والقبلي والشرقي هي اندمجت وفي العالم.

قد يستطيع بعض الناس أن يحرموا البعض الآخر بالقوة ويحصلوا على امتيازات حقوقية واقتصادية واجتماعية غير أنهم لا يستطيعون المحافظة على هذه الامتيازات بمطلق القوة، سارى لأقرباء يحصلون دائماً على هذه الامتيازات في التاريخ ولكنهم محضون في المحافظة عليها

وهنا يعب الدين - أي دين الشرك - دوره الأساسي في حفظ هذا الوضع، وتمثل مهمته هنا هي إحصاء الناس وإقناعهم بأن هذا الوضع هو تجسيد لمشيئة الله وإرادته وأن انتماء الفرد للطبقة الوضيعة لم يكن يسبب وصاعة ذاته بحسب بل لأن ربه وإلهه وغالبه هو أسمى مرتبة من إله العرق لآخر وأقل شأناً من رث الطبقة الأخرى

#### قاعدة حماد دين للشرك الاجتماعية

عندما نعلم التمييز والاختلاف الطبقي والعرقي في المجتمع يأخذ

دين الشرك على عاتقه رسالة بكريس هذا الوضع وتثبيتته. ولذا ترى في التاريخ أن مؤسسي دين الشرك والمخاطبين عليه، هي زمرة الطبقات الاجتماعية العالية بل قد تراهم أسمى درجة وأغنى حالاً وأكثر هيمنة من الطبقة الحاكمة

انظروا إلى رجال الدين المسيحيين إيمان الحكم الأساسي ولا حظوا هيمنتهم على العائلة المالكة والمسكر

لاحظوا التساوية في أوروبا والاحتامات في قوم بني إسرائيل والسحرة والكهنة ورعماة الدين في القبائل الوثنية هي اقربا وأستراليا انكم ترونهم جميعاً مع الهيئة الحاكمة بدأ في يد وكنتاً إلى كتب، وقد ترونهم أحياناً يهيمنون على الهيئة الحاكمة أها

بعد تصل نسبة الاملاك التي كانت في حوزة التساوية في أوروبا إلى أكثر من سبعين بالمئة، وفي العصر الساساني كانت أملاك علماء الدين المسيحي والأراضي الموقوفة على المعابد والأماكن المقدسة تزيد أنحياناً على أراضي الاقطاعيين والمالكين الكبار

وخلالاً لما ننصو، ترى الانبياء - الانبياء الذين يعتقد بعض بهم - تراهم يهفون بهزم بوجه الاديان التي يترت - عبر التاريخ - الوضع الظالم المهيمن على حياة المجتمعات في القرون الحالية من التساوية الاقتصادية والاجتماعية والفكرية

## العامل الرئيسي في دين للشرك

ان العامل الجذري الذي يمتد عليه دين الشرك هو الاقتصاد الذي يقوم على أساس تملك فئة قليلة من الناس وحرمان الأكثرية وهذا العامل يحتاج إلى الدين لحفظ نفسه وإدامة وجوده وتبرير بقائه وديمومته. فإن الدين هو العامل الذي يتمتع بقدرة عالية على احتضار الفرد وقضاة بالذل والهوان. إن هذا الدين - أي دين الشرك - هو الذي أخذ على عاتقه دائماً مهمة تبرير الوضع الموجود، كيف؟

أولاً: بترويج الاعتقاد بتمدد الآلهة لصدق الناس بأن تعدد الشعوب والقبائل والطبقات هو أمر يرتبط بالمشنة الالهية وعالم أتميب

ثانياً: ولكي يحافظ دعاة هذا الدين على الامساكات التي امتازوا بها على الطبقات الأخرى فإنهم كانوا دائماً من دعاة الأنثرة والاحتكار.

## الدين الاثيوبي

العوامل الأساسية لدين الشرك - كما يمددها الإلهاديون بحق - هي الجهل والخوف والمالكية والتميز الطائفي إن هذه الأمور

التي يذكرها الإلهاديون هي حقائق لا يمكن إنكارها وإن قولهم «الدين أهيون للشعوب جاء ليخلص الناس للذل والهوان والجهل والنخلف والمصير المجهول» هو قول صحيح لا يمكن إنكاره والسيل منه

## المرجئة في التاريخ

المرجئة في التاريخ يبرزون جريمة كل مجرم في المجتمع الاسلامي. انهم يتساءلون أولاً: لماذا يصع الله الميزان يوم الحساب؟ ويحييون على هذا السؤال: بأن الله يصع الميزان للتدقيق في حساب علي ومعاوية

أي لو كان الله تعالى هو الحاكم والمدقق يوم القيامة، فما شأنك انت؟ وهل يعنك من سيكون على حق ومن سيكون على باطل؟ ادن عليك أن تعيش حياتك كيفما تشاء ولا تفعل بالك بهذه الأمور التي لا تمسك.

## حركة دين الشرك

إن المسار التاريخي الذي تنتهجه دين الشرك يتم بأحد النعوين

أدناه:



الأول: الشكل المباشر الذي نلاحظه في تاريخ الأديان: أي عبادة المخلوقة ثم عبادة الصلابة أو الرواية الخاصة ثم عبادة القوة الغيبية العينية (مانا)<sup>(١)</sup> ثم عبادة أرباب النسخ ثم الاعتقاد بتمدد الألهة فالاعتقاد بالأرواح وأخيراً الاعتقاد بالله وعبادته. هذه هي سلسلة دين الشرك في تاريخ الأديان، وهي في الوقت نفسه تجسّد جوهر الاشكال الواضح الذي يرد على هذا الدين

الثاني: الشكل العملي الذي انتهجه دين الشرك وهو أخطر وأساء من الشكل الأول. وهذا الشكل من الدين هو الذي ألحق أُنْدَحْ الخسائر بكيان الإنسانية ووجه الحقيقة على مرّ التاريخ

في هذا الشكل يفتني الشرك وراء تقاب من التوحيد

عندما يمت الأنبياء الداعون إلى التوحيد، ترى دين الشرك يتصدى لهم ويقف في وجههم وعندما يتنصر الأنبياء في هذه المواجهة، تستمر حياة دين الشرك وانتصاره وحقائمه بشكل عملي. فمما نرى بلعم بن باعورا الذي هزم في مواجهة موسى يظهر على شكل البصاحمات في دين موسى وعلى شكل الفريسيين الذي قتلوا عيسى (ع). فالطيفة التي جالبت عيسى (ع) وتواطأت مع قيصر ملك الروم الوثني للقضاء على دين التوحيد واتباعه هي نفسها التي كانت تقف في وجه

(١) المانا قوة تأثير غيبية في أديان الديانة الساموية وهي ديانة غريبة من الزردشتية

موسى (ع)، السامري ويعلم بن باعورا ظهوراً في التاريخ مرّة أخرى غير أنها ظهوراً هذه المرّة بزي الفسائسة الذين ارتكبوا باسم الدين في القرون الوسطى جرائم يكفّر وجه المغول والشر. لقد سجلوا تلك الجرائم باسم الدين - الدين الذي يفتني على الحب والولاء والوفاء والصبر والمعونة والمحبة - وباسم عيسى سمّاهم السلام والمعونة والشفقة في التاريخ - هل كان هؤلاء أنصاراً لدين عيسى (ع) حقاً؟ هل هؤلاء هم الحواريون؟ أم أنهم أنصار دين انشرك والفريسيين معيّنهم ظهوراً هذه المرة بري الفسائسة لكي يتسلّلوا إلى دين موسى من الداخل ويعيدوه إلى حظيرة الشرك؟! وقد فعلوا!

ادن فالكلّام الذي أطلق في القرن التاسع عشر بأنّ الدين هو أفيون للشعوب وأنه جاء ليروّض الناس على الحرمان والشقاء في هذه الدنيا باسم الاعتقاد بما بعد الموت وقنعهم بأنّ كل شيء يحدث هو من عند الله ويمشيته وأنّ كل محاولة لتغيير هذا الوضع هي محاولة لإرادة الربّ ومشيته وعصياناً لأمره. هو كلام صحيح بعد ذاته، وكذلك قول عماد القرن الثامن عشر والناسخ عشر بأنّ الدين هو وليد جهول الناس وعدم اطلاعهم على الحقائق والمعلوم أو قولهم: «إنّ الدين هو وليد مخاوف الناس» أو قولهم: «إنّ الدين وليد التمييز والحرمان في عهد الاطّاع».

ولكنّ أي دين هذا؟ أنّه الدين الذي هبّ دائماً على التاريخ -

سوى حقب زمنية قصيرة لعمت كالبرق ثم انطفأت... انه دين الشرك مهما كانت اسماؤه ومسمياته، حتى لو سمي بدين التوحيد أو دين موسى أو دين عيسى أو اصطلاح عليه بخلافة النبي أو خلافة بني العباس أو خلافة اهل البيت أو غير ذلك من الاسماء والمسميات. انه دين شرك ودعاة هذا الدين مشركون جازوا بلباس الدين وباسم الدين والمجاهد والقرآن ألم يرفع اتباع هذا الدين القرآن على رؤوس الرماح؟ ان الذين رفعوا القرآن على الرماح هم القريشيون انفسهم الذي جابهوا نبي الاسلام للبقاء على عبادة اللات والعزى إلا انهم لم يتقدروا على حفظ ذلك الوضع فتسللوا بين صفوف المسلمين ليرفعوا القرآن على الرماح ويصربوا على تلك الصخرة الفاضية تلك الصخرة التي حصبوا بها الله والرسول.

لقد حكم دين الشرك باسم الاسلام وباسم خلافة الرسول وآله وباسم القرآن كما حكم في الفرون الوسطى باسم عيسى وموسى اللذين ارسيا دعائم دين التوحيد في التاريخ

ان الدين البربري والدين التخديري والدين الرجعي والدين الذي لا يهتم بأمور الناس هو الذي حكم المجتمعات البشرية عبر التاريخ اذن لابد أن تصدق الدين قالوا ان الدين هو ولد المحاول والاقطاع وانه تخديري ورجعي لأنهم استنبطوا ذلك من التاريخ. غير انهم لم يعرفوا الدين حق معرفته لأنهم لم يكونوا متخصصين بمعرفة

الدين بل كان حفل تخصصهم التاريخ وكل من يرجع التاريخ يرى هذه الحقيقة متجسدة في الأديان جميعاً، سواء تلك التي حكمت باسم دين التوحيد أو تلك التي حكمت بصراحة باسم دين الشرك

لقد قارنت جميع المصنعات والاسماء المرادفة للفظ الجلالة «الله» هي الأديان الابراهيمية وفي اديان الشرك أبصاً ورأيت ان هذا الدين - اي دين الشرك - هو حقاً ولد خوف الناس وجهلهم. لماذا لأن اتباع هذا الدين (أي أولئك الذين يروجون دين الشرك) يخشون دائماً يقطه الناس ووجهلهم أنهم يريدون ان تكون العلوم والمعارف مختصرة على الأشياء الثابتة والدائمة ويكون هذا أيضاً خاصاً بهم ولا يسحقوا بسيرة لغيرهم. وذلك أن دين الشرك سبتلاشى بتطور العلم واتساع رقعته لأنه يقوم على اساس الجهل والامية فاداعى الناس وبسطت روح الانتقاد فيهم وطالبوا بالمعالة والفسط واسبغت الامس في سفوسهم ستترزل أركان هذا الدين، هذا الدين كان على من التاريخ محافظاً على الوصع الموجود، وكانت هذه مهمته قبل عهد الاقطاع وبعده، في شرق العالم وعربه.

ان الصفات والأسماء الالهية كالهية والهيمنة والجبروت ترجع وتفسر في اديان الشرك دائماً بمصاها الاستبدادي في حين تجد جميع الاسماء والصفات القديمة في الأديان الابراهيمية على تلك التي يرجع تاريخها الى أكثر من ألفين أو ثلاثة آلاف سنة تتفق من أحد أمرين:

الأول: المشق والجمال وعبادة الجلال والجمال المطلق.

الثاني: الأبهة السيادة، الكرم، الحكومة والحماية. وعلمه، فمن يزعمون بأن الدين الذي حكم العالم عبر التاريخ هو وليد جهل الناس وخوفهم من الكوارث الطبيعية، كلامهم صحيح بعد ذاته.

لقد كانت الأديان الإبراهيمية وليدة رغبة الإنسان وحاجته إلى هدف معين وحكومة خاصة وميله الفطري إلى المصروع والمشروع أمام الجلال والكمال والجلال المطلق. فقد كانت هذه الأديان تلبي جميع حوائج الإنسان - النفسية والفكرية والاجتماعية - وقد تصدى أسبياء هذه الأديان - الأديان الإبراهيمية - لجميع القوى الحاكمة سواء المادية منها أو الاجتماعية أو المعبودة وحطموها جميع الأصنام سواء الأصنام المنطقية - كما يستهينها غراسيس بيكون<sup>(١)</sup> - أو الأصنام المسجومة أو الأصنام الأخرى، الاقتصادية منها أو المادية، وقد تصدى هؤلاء الأنبياء لجميع مظاهر دين الشرك - الدين التبريري - وبهروا بمسؤولية تغيير الوضع الموجود داعين أتباعهم إلى استبدال هذا الوضع بالمعادلة

(١) ولد في ستراند على مقربة من لندن عام ١٥٦١ وتوفي في لندن عام ١٦٢٦، وضع دائرة معرف واسعة سبت على أساس الملاحظة التجريبية والسهج الاستقرائي، ورمت في التحليل الأخير إلى وضع الطبيعة في خدمة الإنسان له العديد من المؤلفات منها: «في حكمة الأقدمين»، «مقدمة لتاريخ طبيعي والتجريبي» (نظر: معجم الفلاسفة، جورج طرابيشي، ص ٢٢٦) (المترجم)

والنقسط. وقد أكد القرآن هذا الأمر مشيراً إلى أنه الهدف الاسمي من بعثة الأنبياء والرسل، فالمقصود من إقرار العدالة والميراث والفسط هو تيسير لوصح لموجود لأمدهاته. وأريد أن استنتج هنا أن الدين لم يصب بوجه الاتحاد بيدر وقوفه بوجه الدين. بل، كان الدين على مر العصور في صراع دائم مع الدين نفسه، لقد وقف دين التوحيد الذي يركز على وعي الإنسان وبصيرته وعشقه وحاجته الفلسفية الفطرية بوجه دين الشرك المسبق من جهل الناس وخوفهم، ولهذا نرى دين التوحيد دسأ ثورياً على مر التاريخ فكلماً بجمع دين الشرك التبريري في تحريف الدين الأصلي والتلاعب بعقائد الناس طهرسي براهيمي جديد ليدعو الناس إلى اتباع القوانين الإلهية العامة التي تعكس إرادة الله تعالى. ولذلك نرى أن دين التوحيد يتسم دائماً بنزعة التمرد والانكار والرفض والمواجه.

#### الله والناس

في التوراة والإنجيل (هي بعض الأجزاء التي مسلمت من التحريف) وفي القرآن أيضاً، نرى الله تعالى والناس في جبهة واحدة أي أننا نستطيع استبدال كلمة الله بكلمة الناس أو كلمة الناس بكلمة الله في جميع الآيات القرآنية التي تتناول المسائل الاجتماعية والسياسية والاقتصادية - لا المسائل الفلسفية والعلمية - مثال ذلك الآية الكريمة:

«أن ترضوا الله قرضاً حسناً...» فهل تعني هذه الآية أن الله يحتاج إلى من يقرضه قرضاً حسناً وهو الثمن من العالمين؟ كلا، بل أن المقصود من الله في هذه الآية هم الناس، وهذا التفريق مشهود في جميع الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة التي تعالج المسائل والاتجاهات الاجتماعية، والمراد بنيات أن الله تعالى والناس يقفون في صف واحد وجهة واحدة.

#### اتباع الطاغوت

وفي الجهة المتقابلة ينف اتباع الطاغوت. من هم اتباع الطاغوت؟ أنهم أولئك الذين يبتغى عنهم القرآن: «الملا» وهم المتزفون الذين يملأون العين ويشغلون المصائب والمواقع المهمة في مجتمعاتهم ولا يلتزمون بمسؤولياتهم وواجباتهم.

الدين الذي حكم التاريخ هو دين الملا والمتزفين، وكانت حكومة هذا الدين تتراوح بين الحكم المأسر والسريع، والحكم تحت حطاء «دين الله والناس».

أما دين التوحيد فإنه لم يتحقق في أي يرة من التاريخ، ويكني التسمية قهراً أنهم هموا الحكومات المستقرة باسم الإسلام والتي حكمت في القرون الوسطى اعتقاداً منهم بأن عمل هذه الحكومات هو

يهب أميربالي وأن هذا الحكم هو أقرب إلى حكم كسرى وقيصر منه إلى حلافة رسول الله (ص).

أذن فالدين الإبراهيمي هو الدين الذي ظل يواجه دائماً دين الطاغوت والملا والمتزفين ويدعو الناس إلى النهوض والتمرد على جهة (الملا) ويقرهم بأن الله تعالى معهم وفي صفوفهم.

خطاب هذا الدين موجه للناس وهذه أهرار العدالة وبشرها.

هذا الدين وليدوعي الناس وحاجتهم الماسة إلى العشق والعبادة والوعي، غير أنه لم يتحقق عينياً في التاريخ، بل ظل على شكل نهضة انتقادية عارمة تقدت التاريخ ولم تتحقق فيه بشكل كامل قط. وأن الدين الذي هيمن على التاريخ هو دين الشرك - دين الطاغوت والملا والمتزفين - الدين الأفيوني الذي أمد على صاته مسؤولية تبرير لوضع الموجود.

أود أن أقول لأولئك المعكرين انديس يسألوني دائماً: «أنت بصنك مفكراً كف تر كتر على الدين إلى هذا الحد؟» أنسي عندما اتحدث عن الدين فاني لا اتحدث عن الدين الذي كان مهيناً على المجتمعات في الماضي بل اتحدث عن دين كان هداه الوقوف بوجه الدين المهين على المجتمعات عبر التاريخ. أني اتحدث عن دين بعث أنبياءه لممارعه دين أنشرك بجميع أشكاله، بيد أن هذا الدين لم يتحقق في الماضي بشكل كامل وأن المسؤولية التي تقع على عاتقنا اليوم هي

السمي لتحقيق هذا الدين في المستقبل، وهذه المسؤولية هي مسؤولية الانسانية جمعاء. فاهتمامنا بالدين ليس رجوعاً الى الوراء بل هو مواكبة لحركة التاريخ.

يبت في بداية هذا البحث مقصودي من عنوان هذا المقال «الدين ضد الدين» واستعرضت في حديثي الفكرة التي توصلت اليها احيراً (وان لم يكن هذا الاكتشاف اكتشافاً علمياً أو فلسفياً مقدراً بل هو شيء بسيط غير ان الكثير من الامور البسيطة التي لا ننتبه اليها تعود علينا بنتائج سيئة جداً).

دكرت في حديثي ان الدين لم يصارع انكر والالحاد - بالمعنى الذي يتبادر في ذهننا - وذلك أنه لم يكن في الماضي اي مجتمع الحادي أو طبقة الحادية غير دينية. والتاريخ يشهد لنا بأن الناس على مرّ العصور كانوا متدينين دائماً في مسارهم الاجتماعي التاريخي وقلت أيضاً ان المجتمعات البشرية بكل اصنافها وبدون استثناء كانت محتمعات متدية في جميع مراحل التاريخ، أي ان الدين كان الأساس الفكري والثقافي لكل المجتمعات في طول التاريخ، بحيث لو اردنا صداد تحقيق من التاريخ الحضاري والثقافي لمجتمع ما نجد ان تحقيقنا قد تبدل بشكل عنوي الى تحقيق عن الحصار الدينية أو

#### الثقافة الدينية لدى المجتمع

فهل يمكن التحدث عن الحصار الدينية بدون التطرق الى الدين الودائي والبوذي والازهار بأن هذه الاديان هي المحور الرئيسي والجوهر الأساس في هذه الحضارة المظلمة؟ وهل يمكن التحدث عن الحضارة الصينية بدون التطرق الى لائسه وكنفشيوس واعبارهما المحور والجوهر لهذه الحضارة العريقة؟

ادن نحن نعلم ان البشر كانوا متدينين على مر التاريخ (١) وان البشر لم يكونوا معتقدين بالدين فحسب، بل كانت حياتهم تركز على قاعدة دينية، ولم يكن الدين مهتماً في مصامير الثقافة والاخلاق والمسوية والفلسفة فحسب بل كانت الهيئة المادية والاقتصادية وحتى الطابع المعماري في المدن القديمة دينياً أيضاً.

وقلت أيضاً ان العمران في أغلب المدن القديمة هو عمران رمزي فاننا نجد ابيّة المدينة تحيط بمبناها، كون المعبد رمزاً لتلك المدينة فكما نرى اليوم برج ايفل رمزاً لمدينة باريس، كانت المعابد رمزاً للمدن في الماضي فقد كان معبد «دلفي» مثلاً رمزاً لمدينة اثينا في الحضارة اليونانية

ولنا أن تتساءل: ما هو الفكر والواقع الاجتماعي الذي وقف

(١) التاريخ بمعنى قصة حياة الانسان الاجتماعية لا بالمعنى المصطلح.

بوجه انبياءنا المؤسسون لهذه النهضة التاريخية الممتدة من آدم (ع) الى خاتم الانبياء (ص)؟ ومن هم الذين وقفوا في وجه هؤلاء الانبياء وهذه الاديان الابراهيمية الحقّة؟

نعلم أنّ «الكفر» هو جواب جاهل لهذه الأسئلة، لكنّ انكفر لا يعني عدم التدقّق بدين خاص. بمسألة أخرى ان الانبياء لم يأتوا ليدعوا الناس الى أصل الدين والشعور الديني ولم يأتوا لتبليغ العبادات في المجتمعات البشرية لأن العبادات والشعور الديني والاعتقاد بالغيب والايان بالله او الالهة كان سائداً في جميع الأقطار والمجتمعات التاريخية. وإذا لاحظنا بعض «الزنادقة» أو «الدهريين» يفرون بوجه الانبياء - وقلنا نجد ذلك لأن هؤلاء وقفوا في المآلب بوجه الفلاسفة ورعماة الدين - فأننا نراهم يمتنعون مبدأ دينياً بشكل آخر أو باعتبار آخر أي أنهم كانوا يؤمنون بالقوى العينية وبما وراء الطبيعة. ثم انّ الدهرية والزندقة هي ظاهرة متأخرة جداً من حيث الزمن أي انها تنسحق بمراحل التطور الفكري والفلسفي والعقلي في تاريخ البشر، وإن الدين كانوا يشككون في الدين والمبادئ الدينية هم من النوادر، ولم تدخل الزندقة في مجرى التاريخ ولم تصح كياناً يختص بها في أي من حقب التاريخ.

ان تاريخ البشر هو عبارة عن تاريخ المجتمعات الانسانية في جميع المراحل الاجتماعية والتاريخية والاقتصادية والثقافية

والعضائية التي كانت دينية دائماً وإن انبياءنا بدأوا هذه النهضة الدينية على ضوء حاجة مجتمعاتهم ومقتضى ظروفها الخاصة، وإن الذي وصف دائماً في وجه هؤلاء الانبياء وسمى دائماً الى تحريف مبادئهم هو «الكفر» لا الزندقة والالحاد.

صحة القول، انّ الدين - بالمعنى الذي يفهم نحن - كان في صراع دائم مع الدين وإن رسالة الانبياء ومحور دعوتهم يتمثل في الصراع مع الكفر، لا الصراع مع الزندقة والالحاد. إذ الزندقة لم تكن سائدة في تلك المجتمعات، وهنا لا بد لي ان اشير الى انّ هذا الاستنتاج هو استنتاج قرأني لحسن الحظ.

#### دين الكفر ودين الاسلام

يا أم الله تعالى النبي (ص) ان يقول للكافرين الذين ناهضوا الاسلام بمساءد الأعمى وهاربوا، ابراهيم وموسى وعيسى (عليهم السلام): ﴿قل يا ايها الكافرون لا اعبد ما تعبدون﴾ لاحظوا التكرار والدقة في هذه السورة كل ما اريد أن أقوله، موجود فيها: ﴿لا اعبد ما تعبدون﴾، أدن الحطاب موجه للكافرين لا الزنادقة المسألة ليست مسألة صراع بين اليهودية والزندقة وإنما الصراع بين اليهودية والعبودية وإنّ الدين ماؤوا بني الاسلام لم يكونوا من الزنادقة (الذين لا يؤمنون بوجود إله)

بل كان عدد آلهتهم أكثر بكثير من إله الإسلام الواحد، «ولا أنتم عابدون ما أعبد» وهذه الآية لا تختلف في المعنى عن الآية السابقة إلا أن القرآن يكرر هذا المعنى لأنه يريد ترسيخ هذا السيد في أدمغتنا وعقولنا، «ولا أنا عابد ما عبدتم ولا أنتم عابدون ما أعبد» إنه يعيد ويكرر المفهوم نفسه وفي آخر السورة يعلن النص التالي شماراً لهذه النهضة: «لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ»، ومعنى هذا أن الصراع على طول التاريخ هو صراع بين الدين والدين وليس بين الدين والزندقة

#### هيمنة دين الكفر على التاريخ

ذكرنا في القسم الأول من حديثنا أن دين التوحيد ودين الكفر كانا في صراع دائم في التاريخ ونسأل الآن: «من كان المنتصر في هذا النزاع؟» هي الحقيقة أن النصر كان حليماً لدين الكفر دائماً ويكفي لاثبات ذلك نظرة حائرة إلى تاريخ المجتمع البشري.

إن أنبياءنا - الأنبياء الذين نعتقد بحقائقهم - لم يستطيعوا أن يطبقوا دينهم بشكل كامل ومتشدد في أي مجتمع وفي أي مرحلة من التاريخ.

لقد كان هؤلاء الأنبياء يظهرون على شكل مهمة وثورة وتسمّد على الدين الحاكم، إلا أن جبر التاريخ - الذي كان في أيدي الكافرين -

ودينهم - الذي كان يبرر الوضع الموجود - كانا يصرمان أسرار حكومة الكفر وبقاءها، وبما أن السلطة سواء الاقتصادية أو الاجتماعية أو السياسية - كانت بأيديهم دائماً، لذا لم يستطع دين الحق أن يجسد بشكل واقعي في أي مجتمع ضد جبر التاريخ حتى يومنا هذا.

ما هو هذا الدين وس هم هؤلاء ؟ من أجل أن تصح اسماً لهذا الدين ولكي يكون كلاماً أكثر بساطة وشفافية يمكننا أن نعبر عن النصوص الدينية اسماً وصفات عديدة. إلا أن هذه الاسماء قد تكون أكثر مناسبة من غيرها:

هو «دين الناس» من زاوية المحاطب وهو «دين الله» من حيث محور الدعوة وروحها وجهتها الدين الذي وقف دائماً بوجه الدين الموجود وحمل راية الصراع في كل زمان ومكان هو الدين الذي كان محور خطابه «الناس» وكانت دعوته دعوة إلى «الله» أن هذا الدين - إذن - هو دين «الله والناس»

#### العال مال الناس

لو راجعنا القرآن لرأينا في أول نظرة أن القرآن يستبدى بكلمة «الله» ويختتم بكلمة الناس. ويرى أيضاً أن مخاطبي هذا الكتاب هم الناس دائماً

إن دين «الله والناس» ساي الدين التوحيدى - يفصل وجود الله وذاته عما سواه وهما الانسان والطبيعة - خلافاً لما نراه نظرية وحدة الوجود الهندسية - ولكن «الله» و«الناس» في هذا الدين يتقنون في صف واحد وحيث واحدة من حيث المكانة والهيئة الاجتماعية، بحيث اننا نستطيع استبدال كلمة «الله» بكلمة «الناس» وبالعكس في جميع الآيات التي تتعلق بالمسائل الاجتماعية والاقتصادية والمسائل المتعلقة بالحياة. مثلاً: «مال الله»، فكلمة الله في هذه العبارة تختلف عن معناها الزماني القائل بحاجة الله الى التملك والثروة والذي يفرض على الناس ان يدفعوا مهلاً من اموالهم - سدرأ او هدية - الى المعبد أو صاحبه!

إن معنى هذه العبارة هو أن «مال الناس»، وهذا التفسير ليس تفسيراً حاصراً بل فأكبر قد فسرته برأيي متأثراً بالموامل الفكرية السائدة في عالم اليوم، بل هو ذات التفسير الذي أقحم به أبرذر معاوية بقوله: «انك تريد ان تأكل مال الناس يدعى أن المال مال الله وانك خليفة الله في ارضه وبحق لك ان تأكله او تهبه لمن شئت» يريد أبرذر أن يقول لمعاوية أن مال الله هو مال الناس وليس مال الملأ

إن «مالكية الله» تعني «مالكية الناس» لأن الله والناس في صف واحد: «الناس مال الله» ومن المسلم أن يكون المعيل والمعيل هي صف واحد.

### عيال الله

ويصف مقابل عيال الله الملأ والمترفون ودونك الذي تسلطوا على رقاب الناس وسطروا على ثرواتهم وسلبوا منهم حق تقرير مصيرهم الاجتماعي والاقتصادي. وقد كان هؤلاء الملأ والمترفون اصحاب دين ولم يكونوا ماديين ووجوديين أو ربادقة، كانوا يعبدون الله (أو الالهة)

### دعم التمييز الطبقي والعنقي

ذكرت في القسم الأول أن الفرق لا يحمل معنى فلسفياً محسب بل انه يعني «تبرير الوضع الموجود». هما هو الوصف الموجود في التاريخ؟ انه الشرك الاجتماعي

والآن ما هو الشرك الاجتماعي؟ انه يعني وجود اصنام متعددة بعدد الطبقات والفئات والأعراق والقبائل في المجتمع. فمد كان لكل شعب وعرق وقبيلة صمم أو إنه حاص، وكانت عبادة هذه الاصنام تعني الاعتراف باصانة هذه الشعوب والطبقات والفئات المتنوعة وضمها حقوقها وامتيازاتها الخاصة، بينما يصرح دين التوحيد أنه لا إله إلا الله ولا خالق ولا معبود سواه وأن الرب والخالق هما مفهوم واحد



## الربّ والخالق

تعتقد الأديان جميعاً بأن الله هو خالق الكون غير أننا نجد الاصنام تتمدد عندما نلتحق إلى مفهوم الربوبية، فنجابرة التاريخ كفرعون ونمرود لم يدعوا الخلق وإنما كانوا يدعون أنهم أرباب للناس، فالرب هو المالك والماله ولا يسي الخالق.

كان فرعون يقول: «أنا ربكم الأعلى» أي أنا صاحبكم ومالككم ولم يعمل أنا خالقكم وبارئكم.

لقد كانت أديان الشرك جميعاً حتى الأديان اليونانية تعتقد بالله في مسألة الخلق إلا أننا نجد آلهة متعددة أخرى تظهر فيما بعد تحت عنوان «أرباب الناس». لماذا لتحقيق مختلف أنواع وأشكال الهيمنة وزرع بذور الاختلاف والفرقة بين أفراد البشر أو بين فئات المجتمع الواحد بصّة تصنيف المجتمع إلى طبقات عديدة وفئات متصارعة بين حاكم ومحكوم ومنظم ومفروم.

## المدينة المنورة رمز المجتمع المثالي

ذكرت في القسم الأول من هذا البحث أن «دين الله والناس» كان على مرّ التاريخ على شكل نهضة كفاح ونضال ضد الواقع المهيمن ولم

يكن على شكل دين يبني المجتمع على أساس مبادئه فأننا لا نجد في التاريخ البشري مجتمعاً قد بني على أساس هذا الدين سوى مجتمع المدينة المنورة في حياة رسول الله (ص) ولم يكن هذا المجتمع حقيقة تاريخية في مرحلة معينة بل كان على شكل رمز مثالي - كما ذكرنا آنفاً -

إن عمر هذا المجتمع لا يتجاوز العشر سنوات مقابل خمسين ألف سنة من التاريخ، فقد حكم دين الشرك في المدينة على مرّ التاريخ تارة باسم دين التوحيد وأخرى باسم دين الشرك ولكن الفرصة لم تسمح لدين «الله والناس» إلا في هذه السواب العشر لبني نظاماً اقتصادياً واجتماعياً وتربوياً وينظم العلاقات الفردية والاجتماعية والشعرية والطبعية والعرقية وكذلك العلاقات بين الاقلية والاعلية على أساس دين «الله والناس»

لقد استطاع هذا الدين أن يبني هيكليّة هذا النظام عبراته ثم يتمكن من تطبيقه بشكل كامل، لأنّ الانسار لا يستطيع أن يطبق نظاماً يبني على أساس رسالة تتلّج على التاريخ في عشر سنوات فقط وقد لمسنا ذلك تاريخياً، فإنّ سكان المدينة لم يقدروا على تغيير تربيتهم النظرية والاجتماعية التي تبتني على أساس الجاهلية في مدة عشر سنوات ولم يستطيعوا المحافظة على ذلك النظام العظيم ورأيها أيضاً عدو هذا النظام وهو يسيطر على كل شيء مرة أخرى

بعد مرور عشرين سنة فقط .

اذن نستنتج ههنا ان النظر الى التاريخ بهذا الشكل وان ايمان النظر به بهذه الطريقة سيؤدي بنا الى المدول عن كثير من التصورات التي رسمت في اذهانتنا من التاريخ والدين والزسقة وعن المعكرين والالعادين والمتدينين في الماضي والحاضر، وهكذا بالنسبة للعلاقة بين العلم والحضارة والعلاقة بين الماديين والدينيين.

وعليها ان تطلي الحق لمعكري القرنين السابع عشر والثامن عشر وكذلك القرن التاسع عشر حيث قالوا: «ان الدين كان أفيوناً للشعوب على مر التاريخ» لأن هؤلاء وصموا الدين الذي كان مهيماً على التاريخ وعليها ان تؤيد مزاعم من قالوا «ان الدين هو عامل لتبرير السلطة، لاقتصادية والاجتماعية التي تتمتع بها الاقلية ضد الاعلية في التاريخ» انهم على حق لأن الدين كان يبرز الوضع الموجود في عهد الاقطاع. وتري هذه الحالة في كل المجتمعات وفي كل المراحل التاريخية التي نجد فيها شكلاً من اشكال الحكومة والاقتصاد، فلقد كانت مهمة الدين تبرير الوضع الموجود عبر استغلال العقائد الدينية الراسخة في فطرة الناس

وما أكثر النماذج التي تؤيد هذا الكلام، فما عليكم إلا ان تختاروا حقبة من التاريخ لتلاحظوا الطريقة التي كان ينتهجها الدين في تلك الحقبة التاريخية. وتدرس هذه الحالة في ايران مثلاً:

### الدين في ايران

حكم الدين على المجتمع الايراني في العهد الساساني بشكل مباشر، فقد كان الملوك والامراء في هذا العهد يخصصون بشكل كامل لعلماء الدين والمعابد وكان النظام الطمعي سائداً في هذا المجتمع على النحو الذي لا يستطيع فيه أي شخص من الطبقة السفلى الارتقاء الى طبقة أعلى بأي حيلة أو مسجزة

### للملقة الأولى والطبقة الثانية

تقع العائلة المالكة والنبلاء في الطبقة الأولى في العهد الساساني والى جانبهم رجال الدين - موبدان - في الطبقة الثانية، وكانت السلطة في هذا العهد تتراوح بين هاتين الطبقتين فارةً تسيطر الأولى على الثانية وأخرى بالمعكس

يبد أنهم كانوا جميعاً من الملأ والمترفين الذين لا هم لهم سوى استثمار الناس واستغلالهم فلا فرق بين هاتين الطبقتين سوى ان الأولى - العائلة المالكة والاشراف تستثمر الناس بالقوة، والثانية - رجال الدين - تنهب ثروات الناس بالتبرير الديني، ولذا تري ثروات الناس دائماً في أيدي هاتين الطبقتين ويري القسم الأكبر منها أحياناً في يد رجال الدين كما يقول آثر ماله، «كان سهم رجال الدين المسجوس ثمانية عشر سهماً من اصل عشرين سهماً».

## الطبقة الثالثة

تشمل هذه الطبقة على الصناعات وأصحاب الحرف والتسكّر والمزارعين وهي طبقة محرومة من كل معصرة وليس لها أي حق اجتماعي لأنها تنتمي إلى عرق بصرى - كما هو متعارف في الهند -

ينقل الفردوسي<sup>(١)</sup> عن «رستم فرخزاد»<sup>(٢)</sup> قوله: لو أتى الإسلام لساوى بين السيد والعبد ولعلط الاعراق ولتفتح مصيلة الحسب والنسب لأن الحسب والنسب لا يمكن أن يكونا ملاكاً للفضيلة في الإسلام ويحق للعبد والسيد على حد سواء أن يتصدى لمسؤولية القيادة والحكم في المجتمع الإسلامي.

إن هذه الأفكار التي أراد الفردوسي أن يعبر بها الإسلام تعدّ من أكبر الفاحش وأعلى الشعارات المرفوعة في عالمنا اليوم.

كان الدين يبرّر وجود التمييز الطبقي في العهد الساساني . وذلك أن الجباية لم يكونوا قادرين على ذلك لأنهم لا يجيدون الفلسفة والتبرير ولا يملكون شيئاً من ما ورثه الطبيعة وملجأون إلى القوة فقط.

إن بن الاسكافي في العهد الساساني يحرم من الدراسة لماذا؟

(١) شاعر إيراني كبير عاش في القرن الرابع الهجري وكتب ملحمة «الشاهنامه»  
(٢) قائد القوات الإيرانية في معركة القادسية

لأنه لو أكمل دراسته سبنتي إلى طبقة الكتاب وهي طبقة أخرى أسمى من طبقة الرعيعة. إذن يجب أن يبقى ابن الحذاء هذا حذاءً هو وأبناؤه واحماده إلى أبد الأبد حتى لو كان من التوابخ إن عليه حينئذ أن يستحدم نوعه في صناعة الأحذية فقط .

## رجال الدين المجوس وتبرير التمييز الطبقي

دبّ رجال الدين المجوس على تبرير التمييز الطبقي والوارق الطبقي في العهد الساساني. كان هنالك ثلاثة أنواع من النار المقدسة وتعد كل واحدة من هذه النيران الثلاثة مظهرًا من مظاهر (آهورا مزدا)<sup>(١)</sup>.

١- نار «كشسب» في آذربايجان.

٢- نار «يرزوين مهر» بالقرب من مدينة سبروار.

٣- نار «استهر»<sup>(٢)</sup> في فارس (بالقرب من مدينة شيراز)

هذه النيران الثلاثة من مظاهر آهورا مزدا إلا أن آهورا مزدا نفسه

(١) مركبة من (آهورا) خالق الروح والحياة و (مزدا) صفة آهورا. كما أن (مزدا) مركبة من (مه) وتعني عظيم و (زدا) وتعني العالم المطلق. وهو إله الخير ضد المجوس

(٢) اسم حصن في فارس. وسكن بذلك لأن فيه مسجداً عظيماً

يتبع النظام الطبقي أيضاً قانونا الموجود في آذربايجان هي للملوك والاسرة المالكة، والنار الموجودة في فارس خاصة برجال الدين، والنار الموجودة في الفلعة القريبة من سبروار - برززين مهر - هي للمزارعين والفلاحين وأصحاب الحرف.

إن آهورا مزدا لا يحمل وجهاً واحداً وناراً واحدة حتى في دين المجوس الذي تتحد فيه آلهة الجمال والخير ويعبد الناس الهة واحداً (آهورا مردا) ويصارعون عدواً واحداً (اهريمين)، فالنار المقدسة تبرز وجود الاختلاف بين هذه الطبقات الثلاثة وتوحي بعدم امكانية اندماج هذه الطبقات لأنها متباينة وليست متشابهة، وهذا الاختلاف والنسب بين من وجهة نظرهم هو انعكاس لإرادة آهورا مزدا لأنه هو الذي شاء ان يكون ذلك مثلما شاء ان تكون النار معدسة.

وهكذا، يرى آهورا مردا يثبت هذا التالوث الطبقي في المجتمع لكي يوحى للناس ان إلهه الخاص وناره المقدسة هي الموجودة في مدينة سيزوار وليست في فارس أو آذربايجان وإن النيران الأخرى لا تتمتع ولا تضره، بل لا تعصده ولا تعنيه أصلاً.

وهي الهند أيضاً عندما يريد بوذا التحدث عن الإله أو الآلهة أو عندما يريد الانقصاص عن شعور عظيم أو الكشف عن فكرة سامية، يقول هذه طريقة آرية أو هذه فكرة آرية ويقصد بذلك انها تحتل بالمعنى الآري أي المعنى النبيل الأصيل وانها لا تتفق بانطباعات

النجاسة الأخرى التي حكم عليها بالنجاسة لأنها لا تنتمي لهذا المعنى لقد كانت الانظمة الطبقية والمنصيرية والعرقية تستولي على كل شيء حتى على مقدسات الانسان وأفكاره الدينية وكان الدين يسير دائماً هذه القوارق الطبقية مستعلاً بذلك تخلف الناس الفكري والفلسفي

وعندما نلاحظ تصريحات بعض الفلاسفة كأرسطو وأفلاطون بأن المد يولد عبداً وأن السيد يولد سيداً وأن الأسر الشريفة تمتع بحرق شريف وأنها محصورة مغلقة في مدينة (أثينا) في عشرين أسرة فقط (لا أكثر ولا أقل)، فأننا نرى ذلك يحصل في زمن كان الناس يعيشون فيه تحت هيمنة الدين

لقد كان دين «الملا» ينتج الأفيون للمجتمع بإنتاجه لمواعظ من هذا القبيل: «أنتم لستم مسؤولين لأن كل ما يحصل هو حاصل بإرادة الله ومشيتة»... «لا تشكوا من الحرمان ولا تتألموا فانكم ستجوزون في مكان آخر»... «اصبروا على كل شيء لكي يصاعب الله لكم الأجر».

هكذا كانوا يصدون احتجاج الفرد ويجعدون حركته الإرادية

كان الجبابرة يستخدمون المتب في مواجهة الناس واعتماد ثوراتهم، لكن الدين كان ينتهج طريقة أخرى في وأد النهضة ورد الانتقاد واعتماد تائفة النضب والاحتجاج وهي تبرير الموقف بطريقة كهذه: «إن كل ما حصل قد حصل بمشيئة الله، فأبى احتجاج واعتراض

سيكون بمثابة الاحتجاج على الله ومشيئته».

وعلى الضفة الأخرى يقف دين الحق هي مقابل هذه اديس لتخديري التبريري الماكر الذي سلب من الناس شعورهم بالمسؤولية ويؤثر التمييز الطبقي والعنصرية في المجتمعات عبر التاريخ

#### أنبياء دين التوحيد

دين التوحيد هو دين الانبياء الرعاة الانبياء المساكين، الانبياء الذين عجن الحرمان والجوع في طينهم، اولئك الذين وصفهم نبينا (ص) بأنهم كانوا جميعاً من الرعاة، وقد وقف دين هؤلاء الانبياء دائماً بوجه دين الطغاة الحاكمة، دين القساوسة والرهبان والسحرة إن دين عبادة الطاعوت الذي كان يتمتع بكل شيء طوال التاريخ كان بدوره آلهة هي يد الطغاة الحاكمة لاستثمار الطبقات استحيمة ومعها واقتاعها، ولقد ظهر هذا الدين بشكله انجيلي والحفي هي كل حمية من حطب التاريخ

#### دين الشرك الجلي والخطي

الشكل الأول هو الشكل البدائي والواضح والصريح الذي يستل

«دين الشرك الجلي» والذي لا يزال موجوداً بين بعض القبائل في أفريقيا. ويعتقد اتباع هذا الدين بتعدد الآلهة ويقدمون بعض الحيوانات أو الأوثان أو الملائم والرموز الخاصة.

إن محاربة هذا الدين «دين الشرك» عندما يكون جلياً وعارياً ومكتشفاً يمدّ امرأ سهلاً لكن محاربتة ستزداد صعوبة عندما يخفي وراء ستار من «دين التوحيد» ويكون آلهة في يد الملائم والمرفين. وذلك هو الشكل الآخر من دين الشرك، الذي يظهر فيه دين الطاعوت باسم دين التوحيد ليخفي على دين «التوحيد» ويظهر اتباع الطاعوت باسم عبادة الله ليبسطوا سلطتهم على قاده نهضة التوحيد والمجاهدين في سبيله طالما كثر هذا السؤال على طيني في درس «تاريخ، لاسلام» في كل عام واقوله لهم مسبقاً لأنني اعلم ويعلم الجميع ايضاً انه لو اجيب على هذا السؤال جواباً صحيحاً فإن الكثير من المشاكل سوف تحل - حتى المشاكل الاجتماعية - والسؤال يقول ان شخصين احدهما رسول الله (ص) والآخر الامام علي (ع) أرادا ان يشرا الدارين في مجتمع واحد، فلماذا خرج رسول الله (ص) متصراً ولم يخرج الامام علي (ع) متصراً من هذه المهمة؟ كلاهما كانا من عرب القرن السابع الميلادي والدين الذي كانا يدعوان اليه هو دين واحد والقرآن قرآن واحد والمعبود معبود واحد واللة لمة واحدة والزمن واحد والمجتمع واحد... لكننا نرى النبي (ص) ينتصر في هذه المهمة والامام علي (ع)

يفتح فيها. لماذا؟

البحر يجب على هذا السؤال بإجابات مروعة فيقول مسلماً، حصل ذلك لأنّ عتيّاً (ع) لم يكن مساوياً ولم يساوم الباطل ولم يقبل الظلم والجور، بل كان حازماً في رأيه وعمله. إنها احياة محيرة فهل يقصد هؤلاء - والعياذ بالله - أنّ رسول الله (ص) لم يكن يتصّب بهذه الصعاب؟

صحيح أنّ كلّ هذه العوامل - عدم مساومة عليّ وعدم قبوله للظلم والجور... - كانت مؤثرة في (إحباطه) إلّا أنّ هنالك عاملاً آخر يجب أن نعتد عليه وهو العامل الأساسي الذي سبب هذا (الإحباط):

سبارة أخرى علينا أن نبحث عن عامل لم يكن موجوداً في زمن الرسول (ص) وكان موجوداً في زمن الإمام عليّ (ع)، وأصح أن هذا العامل هو «دين الطاغوت»، الدين المرفقي والقبلي والطبقي، دين عبادة الاوثان، دين الشرك الذي كان آفة في يد «الملأ والمترفين» الذين كانوا يتمثلون في قبيلة قريش آنذاك.

لقد كان هذا الدين - دين الشرك - ساراً وواضحاً وصريحاً في زمن الرسول (ص)، فقد كان أبو سفيان وأبو جهل وأبو لهب يعملون بصراحة، يجب أن نحفظ على الأصنام وعلى الكعبة لكي تبقى تجارة قريش قائمة لأنّ تجارتها وعظمتها ومقامها وشرفها وعلوّها على قبايل العرب منوط بالأصنام والكعبة ولا يمكننا أن نقبل بشيء آخر بل يجب

علينا أن ندفع عن الأصنام والكعبة وسن الأولين، كانوا يقولون هذه الكلمات بصراحة ولذلك كان الصراع معهم أمراً سهلاً وكان الانتصار عليهم ممكناً وهذا العامل هو السبب في انتصار رسول الله (ص).

أما عليّ (ع) فإنه لم يشهر سبحة على قريش المشركة التي تدافع عن الأصنام بل شهره بوجهه بريش المسلمة التي تدافع عن الكعبة... قريش لم ترفع المطلقات السبع هي وجه القرآن بل دفعت القرآن على الرماح. لاحظوا ماذا سيصنع دين الشرك؟ أنه يجاهد ويفتح البلدان ويبنى مساجد عظيمة ليعيم فيها الجماعة ويقرأ القرآن ويجعل جميع العلماء والفظة تابعين ومداهمين عن شعائر هذا الدين ويتخذ دين النبي (ص) شعاراً له إلا أنه في حقيقة الأمر وبسطته يمارس الشرك بعينه.

إنّ معارضة هذا الشكل من دين الشرك الذي يتستر بلباس التقوى والتوحيد أصعب بكثير من معارضة الشكل الآخر، ولن يستطيع أحد - حتى عليّ - الانتصار عليه.

في تاريخ المجتمعات والاصلاحات الاجتماعية نرى قيادةً وقتوا بوجه العدو الاثني الذي بمط سلطانه على بلادهم بشكل سافر هزموه وطرده من تلك البلاد بسهولة رغم قوة العدو وعظمته وجبروته لكننا نرى في الوقت ذاته هؤلاء الأبطال - الأبطال الذين هزموا أعظم الجيوش في العالم - نراهم يخفون في مواجهة الأعداء في

الداخل أولئك الذين تسلطوا على رقاب الناس وكانوا السبب في محنتهم وشقتهم.

يقول رادها كريشن. «إذا ارتدى القرو والنكر لباس القوي. ستع أكبر واجعة في التاريخ».

ادن عندما احدث عن الشرك هاني لا اتحدث عن الدين الذي كان سائداً في الماضي والذي يتجلى في عبادة بعض الحيوانات او الاشجار او الاصنام بل ان المقصود من دين الشرك في كلامي هو: الشعور الديني لدى الناس والذي كان لهبة في يد الملأ والمثرفين الذين حكموا المجتمعات عبر التاريخ الطويل.

ونستنتج ان المفكرين في القرن السابع عشر والثامن عشر والنصر الحاضر الذين قالوا ان الدين كان عاملاً رئيسياً في شتات الناس وشقتهم وتثيت نهج والدلة والصف والهوان كانوا محققين في الإدلاء بهذا الرأي لأنهم كانوا يرون الدين عائقاً عن التطور والرفي والحرية والمساواة بين البشر.

وقد اثبتت التطورات المدهلة التي حققها البشر بعد نقاء الدين عن ميدان الحياة صحة هذه الآراء والتصورات بشكل علمي.

غير ان هؤلاء المفكرين الأحرار الذين سحوا الى تحليص الناس وتحريرهم من هذه المفراقات والسموم المخدرة أخطأوا في تقييمهم واننا نحن المتدينين من تركب اليوم الخطأ نفسه.

#### خطأ المفكرين

الخطأ الذي ارتكبه المفكرون يكمن في أنهم كانوا ينسبون إلى الذين كل شيء يرونه في التاريخ كالمعابد والجهاد والحروب المقدسة والحروب الصليبية والجهاد الاسلامي و... واننا - نحن المتدينين - كنا وما لنا بماي من نفس الخطأ

ذكرت أما ان الاسلام رأياً قوياً في هذا المجال وأنه لا يقبل أيأ من هذه الآراء بل يعتقد ان دين الحق سيتحقق في نهاية المطاف وان الأديان التي حكمت عبر التاريخ في شرق العالم وغربه كانت جميعاً من اديان الشرك حتى لو كانت تحكم باسم دين التوحيد وان الانبياء إنما بعثوا لمعارية هذه الأديان وان دينهم الحق يمنح الإنسان المفكر الحر شعوراً بالمسؤولية هو استمرار للمسؤولية التي كان يشعر بها الانبياء انفسهم. يقول النبي (ص): «علماء امتي أفضل من انبياء اسرائيل» ويقصد بذلك ان المسؤولية التي كانت تقع على عاتق الانبياء ستقع على عاتق العلماء (اي المفكرين) بعد نبوة خاتم الرسل (ص).

#### رسالة العلماء والمفكرين

ما هو الشيء الذي يجب على العلماء ان يستمرؤوا عليه؟ أنه معاربة الدين من اجل احياء الدين وتثيته ان رسالة العلماء

والمفكرين هي احياء الدين - الدين الذي لم يتحقق في التاريخ - أدى  
يحب ان يتضح الناس ويكون لهم وجدان ديني بقطر واع ويقهوا معنى  
التوحيد ويدركوا مدى تناقض «دين التوحيد» ودين «عبادة  
الطاغوت» كي يقدروا على تمييز دين الشرك المتشع بوشاح التوحيد  
ويرفعوا عاب الرياء - يكل اشكاله وفي كل ارجاء المعمورة لكي يصلوا  
الى دين ليس وليداً للجهل وليس وليداً للخوف، كما يقول الماديون  
ويصدقون القول؟

لقد شجب القرآن مراراً موقف اناس يتعرضون الى عاصفة في  
البحر فيسكنون ويتوسلون الى الله خشية تحطم سفينتهم الا انهم ينسون  
كل ذلك بعد الوصول الى البر ويدان يتقدمهم الله مما كانوا فيه. ان هذا  
الدين هو دين ناجم عن الخوف وهو الدين نفسه الذي يتهمه الماديون  
في القرن التاسع عشر بأنه وليد الخوف.

لقد نهى القرآن قبل هؤلاء الماديين على اتباع هذا الدين وعلى  
عبادة الجبناء والمبيد والتجار وعلى كل عبادة تثبت اركان هذا الدين  
الذي هو وليد النظام الطبقى.. من هم الذي استموا نظام هذا الدين والى  
اي طبقة ينتمون؟ المدين استموا نظام هذا الدين هم اولئك الذين كانوا  
يعملون للناس: ان كنتم تمانون الجوع وتفتقدون لقمة العيش فاصبروا  
حتى يجزيكم الله من موائد الجنة! هذا هو الدين الطبقى الذي يستشر  
كالوباء في جسد اديان الحق - حتى في دين نبينا (ص) .. هذا هو

الدين الذي يسميه علي (ع) بدين البعيد والتجار ويسمي العبادة في  
الدين الآخر الذي يقف بازاء هذا الدين بأنها «عبادة الاحرار» وهي  
العبادة التي تنبثق من الحرية والحاجة السامية والعشق والنصية  
الاتسابية المدسة والعدل والمساواة والتوسط ونفي جميع الرذائل  
والارجاس.

ان الدين الذي يبرر الفقر ويحرص على بقاءه كان يبرر العبودية  
ايضاً وكان يحذر الناس ويصدقهم لصالح الملأ ولمرتفين. ان الدين القائل  
(ان الله لا يهتم بكلمة ظالم وسع مظلوم) يجعل من الشعور الديني مادة  
تحذير تمرل الناس عن المجتمع وترهدهم في الامور المادية لصالح  
اولئك الملأ الذين يستأثرون بها دون غيرهم. ان الدين الذي انكر دائماً  
مسؤولية الناس وحتهم في تقرير مصيرهم وبرر الوصف الظالم غير  
التاريخ مستملاً بذلك معوية الناس وشعورهم الدني القوي. هو اندي  
كان يوحي للناس بان الجوع والحرمان والعرض هو علامة على رضا  
الله ودليل على وجود الأهدية اللازمة للكمال وهو الذي يصنع  
لكل شخص حساباً خاصاً بالنسبة للاعتقاد بما وراء الطبيعة ليسهل  
الجمع الى افراد واصصور الى اترواء، وهو الذي يسلب من الناس حق  
الحياة والتمتع والتملك والتحكم ويقوم بكل هذا من اجل الطبيعة  
الحاكمة مستخدماً بذلك الوعد والوعيد والتبرير

ان القرآن لم يحاطب عدواً بشدة محاطبته لأتباع هذا الدين.



أريد أن أستنتج هنا وأقول (وإن كان هذا القول يخل عليكم لكني سوف أشرح أبعاده بتفصيل في فرصة أخرى إن أصبح لي ذلك لآتي اعتقد أن هذا الكلام سيمرّ نظرنا وحكمنا على الدين والمارج).

أريد أن أقول : إن الرسالة التي حملها المفكرون الأحرار في أوروبا في صراعهم مع دين القرون الوسطى والتي انتقدوا من خلالها أوروبا من التحلف والرجعة هي الرسالة نفسها التي أشدها أسياً ونا على عاقبتهم عبر التاريخ أنا لأقول إن تصور هؤلاء كان تصوراً صحيحاً ولكن أريد ، أقول إن رسالة هؤلاء المفكرين هي الصراع مع التحجر والانحراف والذين المحافظ للناس وحقوقهم هي الرسالة نفسها التي كان الاثنياء يعملونها على عاقبتهم وخطبوا من خلالها جميع الأصنام واستهدوا بها جميع ممارسات دين الشرك (ديس التبرير والتفدير) واستبقى هذه الرسالة على عائق كل انصار ديس

عندما نقول ان دين الشرك كان مهماً على التاريخ وان الانبياء بدأوا حركة تاريخية صحفية ضد هذا الدين فاننا سنكون مسؤولين تجاه هذه الحركة وبقياتها واستمرارها لأنها حركة تقديمية تريد ان تثير مجرى التاريخ الذي كان ولا يزال تحت هيمنة الملأ والمترفين.

ان رسالتنا هذه لا تتعلق بالماضي وليست رسالة رجعية بل هي استمرار لمركبة انبياء دين الحق، الانبياء الذين بهوصوا عن بين الناس - الانبياء الاميرين - أي المنسويين لامة - الانبياء الذين وقفوا بوجه غطاء السلاطين واتباع الملأ والمترفين، اولئك الذين كانوا اما من طلبة الملوك او من طبقة الاصلاعيين، اي انهم كانوا بدون استثناء اقطاعيين من ناحية ويسمون الى العائلة المالكة من ناحية اخرى.

مما الشيء الذي لم يذكره المكيرون هي أوربا والذي لا ندركه  
نفساً (بصاً) هو أنهم عثموا استباحتهم الصحيح عن دين الشرك (الدين  
الطبيعي الحاكم على التاريخ) على الدين - بمصاه الأوسع - وليس  
صحيحاً أن نقول: إن في التاريخ ديناً واحداً. إذ كان في التاريخ أديان  
عديدة، وهذا الكلام هو نفس كلام «عورويوس» الذي يقول «لا يوجد  
مجتمع عام واحد بل هنالك عدة مجتمعات».

اذر يجب أن تفصل كل مجتمع عن غيره ثم ندقق فيه ونحكم عليه  
بشكل خاص

في التاريخ كان هناك نوعان من الدين كما كان هناك دائماً صفان وفتنان متقابلتان على مر العصور: الفئة الظالمة وهي الفئة التي تكسب المداء للحقيقة والعدالة والحرية والحضارة والرفق وهي الفئة التي كانت مشغولة بأشباع ولها وغرائرها المجرعة في التسلط على رقاب الناس وحرمانهم من أبسط حقوقهم، وقد كان أفراد هذه الفئة من المندبئين ولم يكونوا من الرنادقة والكافرين.

لقد أكدت من خلال حديثي حكم المفكرين الاوربيين على الذين غير أي أحد هذا الحكم ظالماً ومجحفاً من هذه الناحية بأنه ليس من الانصاف ان تصع الدين المجوسي والدين المردكي<sup>(١)</sup> والدين المانوي والأديان اليوبانية التي ولدت وترعرعت على يد الطبقات الاجتماعية الحاكمة وطبقات الاقطاع المترفة المرفهة، في خندق مع أدنان الحق (أديان الانبياء الزعاة) ثم نعمت حكمنا على كل هذه الأديان ونظر إليها نظرة واحدة، وليس من الانصاف ان نضع دين الحق وانصاره الذين كانوا في جهاد دائم مع تلك الأديان (المشرفة) والحكومات التابعة لها والذين قتلوا وسجوا وعذبوا على يد تلك الحكومات، في جبهة واحدة مع الأديان الأخرى التي حكمت التاريخ

(١) ظهر مزدك في الطرف الشرقي من بحر دجلة في بلدة اسمه (مادبا) وذلك في زمان السلط (قياد) والد (أفرشروان) الذي بدأ حكمه سنة ٤٨٨ م، وقد كان دينه إصلاحياً لدين (ماني) (المعجم)

اساً لو أصدرنا حكماً واحداً على كل هذه الأديان تكون قد حكمنا على هتس متناقضتين بحكم واحد وبالطبع لن يكون هذا الحكم حكماً عادلاً ولا مسجماً مع العقل والواقع والأخلاق أيضاً.

أيها المفكرون أين أنتم؟ هل يمكن الحكم على شيء بالترجمة؟ كيف حكم الاوربيون على دينهم؟ أنهم باصلوا وعملوا ودرسوا وحققوا ثلاثئة عام من الزمن وادركوا في نهاية الامر ان النصرانية هي التي سببت كل هذه المصائب لبلادهم. حسناً أنهم ترجموا ذلك ونحن أيضاً نرد نفس هذه الترجمة. الفكر لا يعني ذلك، وإذا حصلنا على مفكر بهذه الطريقة فإنه سيكون مفكراً ترجمياً وليس مفكراً حقيقياً سوف انطرق فيما بعد الى طريقة صنع الفكر في المجتمعات الاسلامية<sup>(١)</sup>

كيف يمكن الحكم على الدين الذي صنع أي أحد بنفس الحكم الذي يحكمه على الدين الآخر الذي جاء ليبقي على كفة الظالم وسحب المظلوم والذي كان مسبباً للفقر وحامياً له؟

أبو در، وجه الاسلام الطاهر الكامل المرتين على يد النبي لم يكن يملك شيئاً - لا مالاً ولا مالاً ولا ثقافة - ولم يتأثر بشيء بل كان روحاً انسانية نقية خالية من كل شوب، فكل ما كان عند هذا الرجل هو من صنع هذا المصل وهذا الكتاب وهذه الرسالة يقول أبو در: وصحبت لثمن

(١) راجع سلسلة التنبؤات (الكراس رقم ٢٠).

لا يجد قوتاً في بيته كيف لا يخرج على الناس شاهراً سيفه»

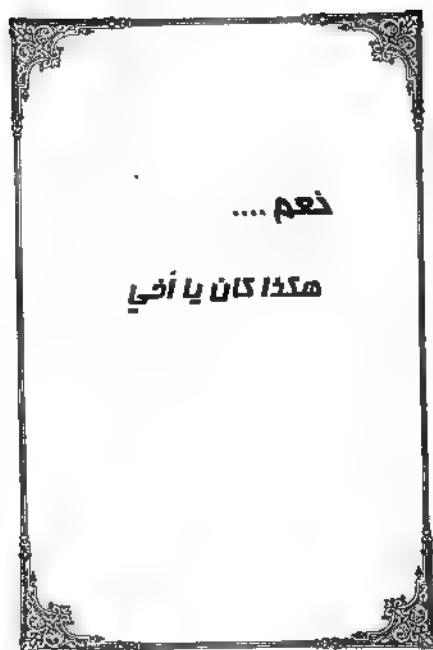
عندما كنت أحدث بهذا الحديث في أوروبا ولم «ذكر اسم صاحبه كان البعض يتصور أن هذا الكلام هو كلام «برودن» لشدة تطرفه أو كان البعض يتصور أنه من كلام (داستايوفسكي)

يقول داستايوفسكي: «إذا حدثت جريمة قتل في مكان ما فإن أولئك الذين لم يكن لهم أي اشتراك في هذه الجريمة ستكون أيديهم مغطاة بدم القتل أيضاً» وهذا كلام صحيح انظروا الآن إلى كلام أبي ذر (الذي لم يكن متديناً بحسب بل كان الدين بينه فقد كان أبو ذر ديباً مجسماً ولم يكن أي شيء آخر قلّم متأثر بالمذاهب المختلفة ولم يعيش بعد الثورة الفرنسية، بل عاش بين قبيلة غمار)

يقول أبو ذر: «عجبت لمن لا يجد قوتاً في بيته كيف لا يخرج على الناس شاهراً سيفه» فلم يقل كيف لا يخرج على من سبب له الفقر، ولم يقل كيف لا يخرج على من استغله، ولم يقل كيف لا يخرج على الفئة المستغلة بل يقول: كيف لا يخرج على الناس كل الناس! لماذا؟ لأن كل من يعيش في هذا المجتمع وإن لم يكن من المستثمرين فإنه مسؤول عن الفقر والجوع لأنه يعيش في مجتمع يوجد فيه الفقر والجوع. كم هو مسؤول إلى درجة يكون فيها عدواً مهدوراً للدم. لأنه شريك للمستثمر الذي سبب الجوع. أي أن الناس يعتبرون مسؤولين جميعاً وبشكل مباشر عن الجوع والفقر

والأجمل من هذا هو أن كلام أبي ذر لا يشبه مشتاق الاسم لمتحدة الذي يقول: «يحق لكل شعب يقع تحت الصط والعبث القيام لإحقاق حقوقه» فأبو ذر لا يقول: يحق لك أن تفعل هذا ولا يقول: يحق لك القيام ضد أولئك الذين سببوا لك الجوع، حتى أنه لا يقول: يحق لك أن تشهر سيفك على كل الناس بل يقول: «عجبت كيف لا يخرج على الناس شاهراً سيفه»

حيث أن أليس من الاجماع والجهل المطلق أن يحكم على هذا الدين الذي ينظر إلى الناس وحياة الناس هكذا نظرة بنفس الحكم الذي تحكم به على الدين المسيحي ولمبرر للجوع أنه لأمر مضحك ومباكي في الوقت ذاته



أريد أن أتحدث اليوم عن نفسي، لا أنشيء إلا لأنني أريد أن أتو  
عنكم خاطرة، خاطرة يرتبط بها ذاتها بي وبشخصيتي كممثل لطيفة  
ومجتمع ومدينة وتاريخ أما من جهة - أنشيء إلى شريحة متممة ثقافة  
معاصرة تعلمون طبيعة المناخ الذي تعيش فيه ومستوى ارتياحها  
بالدين، وطبيعة الأهداف التي تتشدها وماهية اللغة التي تتحدث بها.  
وأنا من جهة أخرى، جئتكم من بلاد مائية، صحراء قاحلة لا أثر فيها  
للممران والزاهية والمشي الرغيد، حياة يؤس وشقاء وهقر وصور.  
وانتشي - من جهة ثالثة - إلى طريقة تتشرف بأن ليس فيها دم لغريب أو  
نبيل من أولئك الذين صنعوا شهرهم بالسيف والذهب.

اشمر في قرارة خاطرتي أن آتاني وامهاتي حبلاً بعد آخر  
يحدرون من النهر والبؤس إلى أن يغيروا في عمى لاربع - وما أسرع  
غيابهم إذ لا يذكرهم أحد في التاريخ سوانا نحن ابتاهم، فالتاريخ عدو  
لدود لأجدادي وأجداد أمثالي.

ومع ذلك، فقد وقع اختياري على (الحضارة) كحقل علمي  
أواصل فيه دراستي وتحصيلي، وكنت على الدوام شغوفاً بأخبار

الحصارة والتمرد البشري، معتبراً هذه الآثار من دواهي الفخر والاعتزاز بالنسبة للإنسانية جمعاء، وحيثما وجدت على مدينة أو بلد سرعان ما أبادر بالذهاب إلى الأماكن التي توجد فيها آثار قديمة لأهل ذلك البلد لأطلع على حجم الانجازات والدور الحضاري الذي لعبه في بناء الحضارة الإنسانية، وما هي الروائع التي أبدعها في الماضي السحيق.

في اليونان، حين ذهبت إلى ميدان أثينا وشاهدت أبنيتها العظيمة، يهرتني كل تلك العظمة والجلال، وكنت إذا سافرت إلى آسيا وأوروبا وأفريقيا أعود مباشرة إلى الآثار العظيمة لتلك الأصقاع حيث تحتل بالنسبة لي مظهر قوة تلك الشعوب ومستوى نبوغها في مجالات الفن والعمارة والصناعة، وتمكن مدى رفعتها الحضاري، فكل واحدة من تلك الروائع العمرانية هي بمثابة كنز لا يقدر بثمن يمثل حصيلة كفاح النوع البشري على وجه البسيطة ويمكس مدى انتصار الانسانية في صراعها الدؤوب مع الطبيعة على مر التاريخ.

في روما، متاحف الفنون والإعمار، والمعابد الشاهقة والفصوص الفخمة، وفي الشرق الأقصى كالصين وكبوديا وفيتنام، جبال شاهقة شيدتها أياد بشرية وتحيا أنامل أناس سهروا عليها الليالي وأجهدوا أنفسهم وأعضائهم من أجل تحويلها إلى معابد لألوهة السماء ومن يمثلها على وجه الأرض من الكهف ورجال الدين. كانت هذه الأمور في

نظري دواهي فخر واعتزاز بالتراث الانساني وكانت تحتل لي أعز المشاهد والمناظر الحولية التي أظير رهواً ودهشة لدى التمتع فيها واجالة النظر في معالمها

إلى أن قُرب صيف هذا العام السفر إلى أفريقيا، يشدني شوق عازم إلى رؤية الأهرام الثلاثة في مصر. وعلى حين عزه انهار كل ذلك الشوق وسدّت كل الأوهام التي كانت تربطني بآثار الماضي وتشدني إليها بقوة. وحرفت منة النبل منها كل التصورات التي كنت أحملها في رأسي واكتشفت أن كل ما كنت أؤمن بأنها مظهر تمدن وحضرة انساني ما هي إلا سراب حادع دام آلاف السنين، وقد بات الآن في نظري هشيماً تدرؤه رياح مصر!

ما أن وطأت قدمي أرض مصر خلال أيام تموز، حتى عذمت على زيارة أثرها التاريخي المعجيب، الأهرام، إحدى عجائب الدنيا السبع، وكذب أظن فرحاً إذ ستحت مثل هذه الفرصة لي استصحب أحد الأدلاء لأستفيد من توجيهاته وتوصياته حول الأهرام وطريقة بنائها وتاريخها وسماتها وجماليتها وفنونها المعمورة!

أشار الدليل إلى تلك الباءات الشاهقة وبدأ بحكي قصتها: قبل رهاء خمسة آلاف عام حمل (نبيد) ثمانية مليون صخرة كبيرة تزن الواحدة منها طنين - كمعدل سوحاؤوا بها من أسوان حيث السد العالي المعروف، إلى القاهرة ليشيدوا بها تسعة أهرام، ستة منها صغيرة وثلاثة

كبيرة هي التي اكتسبت الشهرة العالمية الفريدة قبل خمسة آلاف عام، حملت ثمانمائة مليون صخرة على طول مسافة تبلغ (٩٨٠) كيلومتراً من أسوان إلى القاهرة ورحمت على بعضها لتشيّد بواسطتها مبانٍ ضخمة لتصبح فيما بعد أضرحة لأجساد الفراعنة وزوجاتهم بعد تحنيطها بالمومياء المصرية!

لقد صممت الفرقة المركزية للأهرام من ستّ قطع صخرية كبيرة تنهض أربع منها كحدران للفريخ والحامسة بمثابة قاعدة والسادسة وذلك أن تصور حجم ووزن الصخرة التي كان يتعين عليها أن تتحمل ملايين الصخور الأخرى المتراكمة إلى أعلى الهرم وتصابر وتقاوم خمسة آلاف عام لحداً الآن!

حذسي الدهشة وأنا أنظر إلى هذا البناء الرهيب، وفجأة وقعت عبي على مجموعة صخور مركومة فوق بعضها على مسافة تبعد حوالي (٤٠٠ - ٥٠٠) متره فاستعرت من الدليل عنها، فلم تكتثر بسؤالي وأجابني: لا شيء! إنها مجرد صخور! قلت له: إنها مركومة على بعضها، ولا تسمى شيئاً؟ أريد أن أعرف سرّ هذه الصخور، كان يتبادى الاجابة عن سؤالي وشعرت أنه يتحاشى أن أطلب منه الذهاب إلى ذلك المكان، فالجو كان حاراً والهواء لاذع والأرض صخرية ذاب نصارس وكان من الواضح أن أحداً لا تحدّثه نفسه بالذهاب إلى ذلك المكان ولكن، ما ذنبي وأنا الذي علمتني التجارب أن أدرك دائماً هي

بعثي واستقصائي سواء في الكتب أو الآيات والروايات أو الآثار والأفكار، على كل ما هو مغيب ومهجور، ولطالما عثرت على الطاب القيمة في أماكن وموارد مهمة لا يتم التمرّض لها إلا نادراً، ولا يحتر عليها إلا مرور الكرام، ذلك أن ألتئم أما أن تكتم إذا قُور على ذلك، وإلا هتتم بشويعها!

عرفت عن الأهرام وتوصحات الدليل التي بوسع انجمع ان يثروا عليها في الكتب والمجلات، وأصررت عليه بأن يكتفي بالكشف عن ماهية تلك الصخور، فأجاب علي مصعب: إنها أحاديث حمرت في بطن الأرض لعدة كيلومترات، قلت له: لماذا؟ قال: أنها مقابر السعيد الذين شيدوا هذه الأهرام، فعلى مدى مئة وثلاثين عاماً، ويشكل يومي كان العبيد يجرّون هذه الصخور لمسافة ألف كيلومتر وكانت أرواحهم ترهق تحتها ذراعات ورافات، غير أن نظام الرقيق - الذي حظّل اختراع الميعة والسنة على حدّ قول «شوارتز» - لأن وجود العبيد بكثرة كان يفتهم من الحاجة إلى اختراعها - هذا النظام كان يلقي بأشلاء السعيد لممزقة في هذه الأخاديد، ويأدر إلى استخدام غيرهم.

ويومياً، كانت التعاريف ترفع إلى فرعون بموت مئات العبيد، ومن ثم يؤتى بأياج جديدة من أفريقيا السوداء ثم تعود بعد على قساوة الظروف والبيئة، فترتفع معدلات الضحايا والوفيات، وكان الخط البياني يرتفع وينخفض حسب فصول السنة ويحسب انتشار الأوبئة

والطاعون. ولكن على أي حال فقد كانت الاحصائيات مروعة وتكشف عن عملية إبادة جماعية لأولئك العبيد، يضاف إلى ذلك عوامل أخرى من قبيل تقلب مزاج فرعون الذي كان يبلى بحالات نفسية خاصة وأمراض خفية، وكذلك أمرجة أرباب العمل الذين كانوا يتسامحون في اضطهاد العبيد والتعنت في امتصاص أكبر مقدار ممكن من العمل من أولئك المساكين دون وأزع من ضمير أو قانون.

ثم إن فرعون كان متدنياً يؤمن بما وراء الطبيعة، وكان ذلك داعياً لرغبته في أن يدفن هؤلاء إلى جواره وعلى مقربة من هرمه لكي يواصلوا خدمته في مماتهم كما كانوا يخدمونه في حياتهم.

قلت للدليل: اتركني وشأني، فإني لا أطيق بعد هذا تحمل وجودك ولا وجود هذه الأهرام الحيثة، سأذهب بنفسى.

دهيت.. لم يكن تمة مسافة طويلة بين أهرام الفراعنة وأخاديد العبيد، غير أن الطريق كان صعب الصبور، والصخور تشدخ أقدام العابرين لتخلف وراءهم خطوطاً من الدماء، لم تكن المسافة بأكثر من عدة أقدام، ولكن المسافة - دائماً - لا تتجاوز الأقدام بين الجلال والشهيد<sup>(١)</sup>

(١) لعلها إشارة إلى دفن الامام الرضا (ع) إلى جوار هارون الرشيد في مشهد بايزيد (المرجوم)

جلست على مقربة من الأخاديد، وما لبثت قليلاً حتى شعرت وكأنّ رابطة قرابة وصلة رحم تربطني هؤلاء النساء، وأن بيني وبين تلك الأهرام ومن فيها كراهية وغيرة! لقد عثرت على ذاتي وأنا أطلّ على قبور أرحامي وأقربائي، وكأنّني أعرفهم فرداً فرداً، أو كانت لي صديقة مع كل واحد منهم أو شراكة في حياة ومصير، كنت واحداً من أعضاء هذه الأسرة البائسة، وما أزال!

صعبح انني بحثت من بلاد وهم قدموا من أخرى، وأنا من عرق وهم من آخر، لكنها تصبغات شطانية تهدف إلى تقطيع الإنسان أرباً أرباً والمتلة به، وجعل الأقرباء اجانب والاجانب أقرباء.

غير انني اليوم أمسيت سليلاً لهذه الطائفة من بني البشر بعيداً عن مقتضى تلك التصنيفات والتقسيمات المقتبة، هم أروباي وأنا الآن أواسيهم، وما أن التفت مرة أخرى صوب الأهرام إذا سي أشعر بهمة ومسافة شاسعة تفصل بيني وبين تلك العظمة والجلال والبهاء، بل كأن بيننا عداوة وكراهية، وحيداً على ذلك الفن والتمدن والحضارة، لقد أدركت أن كل الآثار العظيمة على طول التاريخ والحضارات المجيدة لم تتم إلا على أشلاء أسلافي!

سور الصين العظيم، وجميع الفلاع والأبراج العالية وما إلى ذلك من الآثار الشامخة، هكذا رأت التور، صخره صغيرة ولينة لينة من دماء اجدادي ولحمهم وعظمهم



لقد رأيت بألم هينى أن الحضارة والتدنى لا يعنى سوى العقد والتمتع والتكيد والاستغلال وأسر للبؤساء ومضى دمايتهم... ليسفر عن ذلك بناء شامخ مؤلف من ثلاث طبقات هي عبارة عن همارة الظلم والجور عبر آلاف السنين وقد أرسيت دعائمتها على أكتاف اخواني واخوانتي، مكثت جالساً بين تلك الصخور المتراكمة، ورأيت هؤلاء المدحورين في تلك الحفر وهم يخاطبونني أنا خريج جامعات العلوم الانسانية في أوروبا واستاذ تاريخ الحضارات هي جامعات اميران يعطوني درساً من اول صفحات كتاب العلوم الانسانية، كان ذلك أول درس في التاريخ وقد علموني فيه ماذا تعني الحضارة.

اخواني علموني أن كل ما تعلمته باسم الحضارة وتضمنت والاخلاق انما هو كذب محض، وان ما يدرس في الكتب والحصص ليس سوى الفروعيات والقارويات والبلغميات، وان التاريخ الحقيقي يمتد على المسافة ما بين الاهرام وهذا المكان، وأن الحضارة والمدنية والاخلاق والتاريخ وجميع العلوم الانسانية لا تدرس لا في المدارس ولا في المعابد بل هاها تحب هذه الصخور، هاها تجدونها مدهونة مع اخواني.

وتلك الاهرام الثلاثة التي لم تعد في نظري سوى التالوث المشؤوم: الاستبداد والاستعمار والاستعمار، هي التي افترعت هذه الفاجعة لتكون دليلاً على سيرة الانسان المظلم وشاهداً على مصيره المحتوم.

اشكركم يا اخواني المدفونين ها هنا، لقد علمتوني أن كل ما تعلمته في السابق من اخلاق وفنون وعلوم وتاريخ انما هو من صنع هذه الاهرام الثلاثة ومن يرقد فيها، من صنع فرعون والملا والسحرة، ها أنذا الآن أدق تحت هذه الاهرام كل ما تعلمته منها، وأندأ من جديد، وسوف اتجه فوراً من هنا الى (مى) ارض العشق والقتال، لأرسي الأبالسة الثلاثة أو قل الوجود الثلاثة لإيليس، فنحن جمعاً يا اخواني صممايا لهذه الأرباب الثلاثة التي تعلمنا منها تاريخنا واخلاقنا وديننا، والواقع ان هذه الثلاثة هي التي دفنت التاريخ والاخلاق والدين تحت هذه الصخور

عدت الى المدينة، وعرفت من التجوال فيها خشية ان تنطع في محيلتي صورة أخرى غير صورة تلك الصخور المكسدة، لم أكن أرغب في أن أفكر بشيء ما تعلمته من تلك الصخور مما وجد في تمام وجودي. ذهبت مباشرة الى غرضي وجلست فيها اتصفح وأستعرض وجوه اخواني الجدد، مئة وثلاثون عاماً بمعدل ثلاثين الف من اخواني، من اسوان الى القاهرة، دهاياً وأياً، قبل خمسة آلاف عام

مع خمسة آلاف عام مضت، كان فيها اخواني تحت نير سياط العلادين وصغورهم، ولا شك انهم لا يعلمون ماذا حصل بعد خمسة آلاف سنة، ولا شك ايضاً انهم يريدون أن يعلموا... تناولت قصاصة ورق وكتبت رسالة الى واحد من مئات الآلاف المقبورين في ذلك

الأخدود، وقدّمت له تقريراً موجزاً عما جرى علينا في عصور خمسة آلاف سنة، خمسة آلاف سنة لم يعد موجوداً فيها، ولكن الرقيّ والمبودية استمرّا خلالها بأعماط شتى... جلست وشرعت أكتب:

«رحمت أنت، ومن لم ترك نيتي العصارات العريقة ونهياً لأجل فتوح واقتضارات ومآثر»

كانوا يقدمون إلى قرانا وضباعاً ويجروننا كالبهائم وراءهم، وذلك لتصبح قبورهم، وإذا ما انتهينا من بناء تلك القبور العظيمة كان المجد والبرّ لهم وحدهم ومتى ما انطفأ بهيوس رمقنا الأخير في هذه الحياة خلال هذا العمل المهلك، غدونا إحدى صخور تلك المقبرة

كانوا - تارة - يأخذوننا إلى الحرب، حرب على أناس لم نعرفهم ولم نكرهم من قبل، حتى على رفاقنا ومواطنينا وأقربائنا

كانوا يدفعوننا إلى الحرب عنوة في حين أن أباءنا وأمهاتنا الذين حط الدهر خطوطه السوداء على سيماهم - ينتظروننا بعارغ الصبر، ولكن انتظارهم هذا ظلّ بلا جدوى.. ولا جواب..!!

هذه الحروب - على حد قول أحد العلماء - كانت عبارة عن: اشتباك بين فريقين لا يعرف أحدهما الآخر<sup>(١)</sup>

كانوا يأخذوننا إما لقتل، إن لم يكن لتعصير حليننا لملكواريث

(١) نقرأ في هذا الحديث جيداً لأنه يوضح مسار التاريخ كله - المؤلف

والثكنات وأحزاب والمدن المتهدمة والمزارع الجرداء تصبغ من صيب آبائنا وأمهاتنا، وإن انتصرنا كان الفخر والبرّ والمباهاة يسجل للغير، ونحن العرائس المتحركة خلف الكواليس.. لم نحظ بشيء من هذا النصر

أخي! نهضة وحول عظيمان ظهرا بعدك، الفراعنة والجسديرة وطماء التاريخ يدكوا طريقة تفكيرهم، لهذا فرحتنا كما حسنت ان التدماء كانوا يعتقدون بأن ارواحهم خالدة وبعد موتهم ستظلّ تحوم حول مقابرهم، ومتى ما بقي الجسم سالماً ستظلّ رابطة الروح معه كما هي قائمة، ولأجل هذا الاعتقاد أرغموني وأرغموك على رصف هذا الصحور الهائلة المميّنة

ولكن مع مرور الزمن أمسوا أكثر تنوراً وأصبحوا لا يعفرون بالموت من بعد، لهذا تركوا تلك العفاند البالية وكاب لنا - هذه - بشرى سارة، بشرى النجاة من بناء تلك القبور وجلب ثمانية مليون صخرة من مسافات آلاف الكيلومترات ووصفها على بعض..!!

ولكن يا أخي!! لم تمنح هذه البشرى طويلاً، إذ سريراً كانتمل إلى قرانا وأجبرونا على العمل بعدك، ومرة أخرى تكررت نفس المأساة وأمره أخرى حملوا على هاماتنا وأشلاننا الصحور ولكن لا لقبورهم هذه المرة، بل لتصويرهم وأسوارهم العظيمة، تلك النصور التي امتزج بناؤها بدمنا ولحمنا

أخي: مرة أخرى كنا نعود كغير الناصور في دوامة اليأس، متجهين إلى نافذة بطلٍ منها النور، فكانت نهضة «أنبياء عظام» زرادشت العظيم، ماني<sup>(١)</sup> الكبير، بوذا الكبير، كنفيشوس الحكيم، لاو تسوا المتصق... كانوا آمالاً تبرهم في الطريق، لا بد أن الآلهة بعثت هذه الشخصيات العظيمة لإيقاظنا نحن المحرومين والمستضعفين من الدل والميوعة والهرمان وليجلوا الإيمان والعبادة محل الظلم والرق

ولكن يا أخي: هؤلاء المبعوثون من طرف الآلهة كانوا يقدمون دون أن يأنهوا بنا ولم يدركوا أسماً لنا، كانوا يذهبون إلى قصور الحكام مباشرة، كنفيشوس الحكيم مثلاً، الذي كان يتحدث مع المجتمع والامسان، وكنا نصدق ما يقول، لقد ذهب إلى وزارة «نو» وأصبح نديماً لأمرأ الصبي

(١) ماني: اسم وشام ظهر في زمان (أردشير) ويصعبه يقول بل هي زمان السند (هرام)، ظهر بعد عيسى (ع)، وقد قتله (هرام بن هرم) اسم كتابه (أوردت) وعقائده سريخ من عقائد الزردشتيين واليهود والمسيحيين يقال إن أمه من نسل الملوك الآشكانيين، وأباه من رجالات (هملان)، هاجر إلى (بابل) وولد (ماني) في تلك البلاد عام ٢١٦ م، أدهى النبوة بعد أن اطلع على الأديان الموجودة وسعى نفسه (فار قليط) الذي أخبر عنه المسيح ومن أقوال ماني «يشر الأتنياء بأوامر الآلهة أحياناً من الهند بواسطة (زردشت) والآن أرسلني الله لنشر دين الحق في بابل» و «أرسلني الله نبياً من بابل حتى تصل دعوتي العالم أجمع» (المترجم).

وبوذا - حيث كان من كبار أمراء «بنارس» قد قاطع الجميع وغار في نفسه ليذهب إلى «نيروانا» - التي لا أعلم أين هي - ولهذا تراه مكتئباً ليخرج بأفكاره العظيمة إلى العياض...!!

وزرادشت الذي كانت آذريبيجان محل بعثته - ويدون أن يكلمنا نحن المحرومين والمضطهدين - ذهب مباشرة إلى بلخ فمكث في بلاط كشتاسب

و«ماني» الذي تحدث إلينا عن النور وتهجم على الظلمة، ظل يحبس في آداننا - نحن المسيحيين والمعتقدين في الأرض - عن الظلم والظلمة، وهكذا لم نزل نتحايل على انفسنا ونقول: - أجل هذا هو السجي الذي ظهر لإيقاظنا، ولكنه أفضح عن لب كلامه ضمن كتاب الهداء إلى الملك شاپور الساساني، هذا وقد ألقى خطاباً أثناء حفل تتويجه وكان يتحدث بمرافقته إلى سرديب والهند وبلغ ومن ثم تراه يبرز هزيمناً بهذه الأشرطة.

«كل من يهرم ويدهر فهو من ذات الظلمة»

«وكل من يفرح وينتصر فهو من ذات النور»

ولهذا ترانا - نحن المهزومين والمستضعفين - نملأ طول وعرض التاريخ دوماً

أخي: ذهبت «ألب» صحنه لهذه الأبيات الشامعة و«أنا» منذ

رحبت «أنت» صرت قريباً لهذه القصور الشاهقة. وعلى حين غرة وجدت نفسي تحت قيود وتير من هم خلفاء فرعون وقارون - الذين يبيعوني ويشرونني متى ما طاب لهم ذلك... أجل يا أخي... لقد ظهرت بعدك طفة رسمية تدعي «الكهنة»، ففي فلسطين وإيران ومصر ولصين، بل وفي كل مكان يوجد إنسان محروم مثلي... كان لابد لي أن أجيء على ظهري الصحور لأبني بها تلك القصور الضخمة والمعابد والهياكل الرهيبة

وبعد هذا وغير هذا، فإن «خلفاء الاله» و«النبى» كانوا يطوقون رقابنا بقلادات أخرى... فباسم الركاء يسرفون وينهبون ونحت شمار المعاهد يعمتونا الى ميادين الحروب، حتى انهم كانوا يرموننا على ان تقدم اطعالتنا قريين على مذبح المعابد والهياكل وسحت ارجل الاصنام.

أخي، أندري ما أعانيه... لا: فان الهياكل كلها عامرة بدم اولادنا لايرياء... وهكذا أصبحنا - مرة أخرى - لعبة بيد الالهة اضافة الى وارتني فرعون وقارون

أجل... اعتصمت الكهنة المجوس أغلب أراضيتنا وهكذا فعلت الكنائس حيث كنا عبيداً بل اداة كادحة لهم

دفعونا لشييد المعابد والقصور الضخمة في الروم والهياكل العظيمة في الصين... وكان الهلاك من صيبنا... أما النصر والعز ملكته

والقسمة وتجار الدين ووارثي فرعون وقارون.. !!

و«أنا» الذي عشت بعدك آلاف السنين وشاهدت حصف رفاقي واخواني ولهذا انتابني شعور بأن الالهة أيضاً تكره وتبغض السيد ورويدا رويداً احسست بأن الذين هو في حد ذاته قيد قيودنا به والكهنة والقسمة ورجال الدين هم أنفسهم وسائل أخرى لاستعبادنا واستحكام هذه القصور وتلك القبور

ومرت الأيام.. والحكماء والعلماء النظام - الذين كان تفكيرهم أفضل منا - كاسطو القائل بأن: بعض الناس ولدوا لأجل أن يكونوا عبيداً وبعضهم جاءوا الى هذه الحياة ليكونوا سادة وبلاء اشرافاً.. لهذا أنقذت بأننا ما جئنا إلا لتكون رقيقاً وليس لنا حظ غير هذا، وحظنا ما عساه ان يكون سوى الظلم والخور والفساد والتحقير والعبودية، ولا شيء غير هذا...!!

ولكن يا أخي: فجأة وعلى حين مرة علمت ان رجلاً هبط من جبل وزكك الى معبد مرموياً، «أني رسول الله»...

ومرة أخرى، كادت ارتعاشة مهية تحبس انفاسي.. هل ان خدعة أخرى تكمن وراء هذه الصيحة.. ولكن فتح فاه فقال - وأنا لا أصدق -:

اني بعثت من قبل الله القائل: «وَأُوتِرِدُ أَنْ نُسَرُّ عَلَى الذِّيس



استضعفوا في الأرض وتبعهم أثمة ويجعلهم الوارثين»<sup>١</sup>

يا للعجب...!! كيف أصبح الاله يكلم العبيد والمستضعفين؟  
وبشرهم بالنعمة ويعددهم بالزعماء والقيادة، ويجعلهم وارثي  
الأرض؟.. كذبت لا اصدق، قلت: هو الآخر كيا في السبشرين  
والمصلحين و«الانبياء» في ايران وبنين والهدى. لابد به الحد الامراء  
البللاء الميعوتين لتعيد القدوة والسيطرة وتكديس الهوى ضد الشعب  
قالوا: لا، انه يتيم والكل قد شاهدوه مراراً وهو يرعى الاغنام وراء هذه  
الحبل، قلت: ماذا اسمع...!! كيف هي مشيئة الاله هذه المرة... يصطلي  
رسوله من بين الرعاة؟! قالوا: اجل، هو آخر حلقة من سلسلة الانبياء  
الزعماء، حيث ان اجداده كلهم كذلك، دابت ايمادي في ظل رجفة ملؤها  
شوق صارخ وصيحة خرساء، إذ ان نبياً يبعث «سأ» ولأول مرة...!!  
أمنت به وايقنت برسائلته لأنه جمع شمل اخواني ورفاقي الفقراء  
حول

بلال، العبد الحقيقي، سلمان، أسير من اسراء ايران، أبو در،  
البايس المجهول وسالم، خلام زوجته خديجة... الخ، كل هؤلاء  
الزعماء البائسين، كل الاسراء والعبيد وكل المظلومين والمضطربين  
اصبحوا قادة قومهم

صدقته وأمنت به لأن قصصه! كان ذا حجرتين أو ثلاثة صعب  
من طين حيث اقام هو بنفسه البتاء. ويلاطه لم يتعد حفة من الاخشاب  
المتراصة على بعض من سفن النخيل!! اجل، هذا كل ما كان يملكه  
ويؤثر به على معاش الناس من جراء سوء قصصه هذا!! هكذا كان  
وهكذا رجل

جئت... هارباً من الكهنة المعجوس... من الظلمة الذين كانوا  
يسوقوننا كالبهاائم الى حروبهم التافهة ويزعجونهم الطائشة..

فررت واعتصمت به... قدمت الى مدينته وعشت معه ومن  
حولتي رفاقي الرقيق والاسراء والمحرمون وجميع مستضعفي العالم..  
قضيت أيامي معه حتى راح في عفوته السريعة تاركاً وراءه شمسا  
خلف ستار داكن

أخي، وبعجة رأيت المعابد العظيمة تشق عنان السماء مرة أخرى  
وتعتلي باسم ذلك النبي الأمي في حين ان السيوف التي كتبت عليها  
آيات «الجهاد» كانت تهدد وجودنا في كل آن

ومرة أخرى امتلأت بيوت المساكين والخزائن بأموال نهبها  
وسلبوها وانتزعوها عوة ما... ومرة أخرى جاء خلفاء هذا الرسول  
ومسحوا القرآن وخذوا شبابنا هبيداً لمصورهم، باعوا امهاتنا في  
الأسواق البعيدة وقتلوا رجالنا باسم «الجهاد» في سبيل الله، واستولوا  
على كل ما نملك باسم «الركاة».

يأس قد بل دى مي فلي . أجل يشست ... لا أدري ما افعل ؟ لقد ظهرت سلطة جديدة تخفي خلف رداء التوحيد نفس الاصنام التي حطمتها ذلك «الرجل» وتوقد في مساجد «الله» نار الكذب والحديعة . ومرة أخرى تكررت نفس المأساة ، تكررت نفس الوجوه القرعونية الفاروتية التي نمرها انت يا أخي جيداً .. احبذوا باسم الله وحلافة رسوله يضربون الناس بسوط الدين .. وبكى - مرة أخرى - معينا في ارقعة الصبرة لنبني مسجد دمشق العظيم ! .. ومرة أخرى دوت هنا وهناك صيحات تدعو الى الحرية ، قصورا درة في بوعها وطرارها .. مساجد معيرة للمقول .. كالفصر الأخضر في دمشق ودر خلافة الف ليلة وليلة في بغداد ... كل هذا كان ضمن دتنا وحياتنا ولكن هذه المرة باسم «الله»

ومره أخرى صرت لا اصدق ان هناك خلاصاً ونجاة ... لان الميودية والموت الأسود كانا مقدوران لنا

أجل .. من كان ذلك الرجل ؟ ترى هل كان يخفى خلف تلك الرسالة المروحة لخداعنا ؟ كان مؤسس هذه الايدلوجية التي حذونا في دهاليزها ورزائنها كالحرق الباليه ... أجل كان هو الداعي لحرق مزارعنا وشق الغارات على ممتلكاتنا وقتلنا كالذباب .. لا .. كلا .. ف «أنا» و«هو» أمسينا ضحايا .. !!

لا أدري .. لم يكن هناك أسامي سبيل أحمر أسلكه .. لمن

النتجي ؟ الى الكهنة المحوس !! كيف ذلك ؟ الى المعابد والهيكل التي كانت ولا زالت قائمة على اساس الظلم والتزوير !! الى القادة .. الى كل الذين ينادون بالحرية والوطنية ؟ لا .. لأن هؤلاء كلهم قعدوا مكانتهم ومناصبهم وسطوتهم الفائرة بعد صيحة هذا «الرجل» لهذا تراهم يتكالبون لأجل احياء ذلك التراث البالي المتهرى من جديد .. وبعد هذا وغير هذا .. الى أين أقدر أن أذهب ... !! الى المساجد ؟ ولكن ما الفرق بين هذه المساجد وتلك المعابد . ؟

وبعثة - يا أخي - رأيت السيوف التي جمرت عليها آيات «الجهاد» .. والمساجد التي كانت طافحة باسم «الله» ... والمآذن التي كان يدوي فيها آذان «التوحيد» .. والوجوه المعروفة التي جلست على سرير الحكم باسم الحلافة وتحت شعار - الامامة والاعتداء بهج ذلك «الرسول» .. رأيت - يا أخي - كل هذا مرة واحدة وهي تلتقي في بؤرة واحدة وذلك لأجل جزنا في ارقعة الاستعباد وساحات الصروب والهلاك والدمار والتكفير و .. و ..

لا بد أن تعلم يا أخي أن واحداً آخر «منا» أصبح ضحية لهذه الجرداء القاتلة في مسجد يذكر فيه اسم «الله» ، أجل إنه الامام علي ، قريب وحبيب ذلك «الرسول» فقد اعتزل في محراب «الله» .. ولاقى الظلم والبدون هو وآل بيته قبلي وقبلك وميل جميع الممديين والمحرومين على امتداد التاريخ ، حاربوه وعابروا على بيته باسم

انجهاد وأثر كاذب ..

وذلك «الكتاب» الذي لا ريب فيه، قبل أن يصبح أداة لاستعبادي وهبي وقتلي، وصح فوق الرماح ليكون الفشل ولتكون النكسة من نصيب ذلك الرجل

يا ليهول... هذا كل ما كان... إذ أنني وجدت بعد انقضاء خمسة آلاف سنة كنيسة قاتلة، رجلاً يصكي لنا عن «الله» ولكنه لم يعرض حديثه للأمراء والنبلاء بل «لنا».. لم يكن كيوداً ليذهب إلى «ثيودونا» ولا كالمهين ليخدع الناس ولا كالمرفاه الذين يعون - الوصول إلى «الله»

أجل فقد وجدته رجل جهاد وعدائه... فإن أحماء - عقيل - أصبح الصفحة الأولى لهذه المداللة الحادة الصارمة... رجل، كانت زوجته بنتاً لذلك «البليغ» الكبير... الخ كانت تشتمل وتعمل ككل العمليات المعرومات، تتحمل الأذى وتتجرع القذى فتدق الجوع وتفضن بلحمها ودمها...

أجل يا نبي... وجدت رجلاً كان أولاده وأرثيين لتلك الرؤية الحمراء التي ظلت تقور دماً حاراً نحو السماء على امتداد التاريخ، ولهذا تراني بعد مضي خمسة آلاف عام ومن هول تلك المعابد والأبنية التي أهرعها «أنا» وتعرفها «أنت» هذين ضحاياها... ومن خوف ذلك الاستبداد وتلك الفرعة التي أهرعها «أنا» وتعرفها «أنت»... أجل بعد

مضي كل هذه الأعوام تراني اعتصم بهذا «أبست» البطني الوضيع... المهجور، الفاسد... كأنه بيت أمراء... ظل «هو» وحده... وهو كل رفاق ذلك «البليغ» الكبير... ارتحلت زوجته... لا يدري علام يلوى... كان يبكي لأجل ما ابتلياً به «أنا» و«أنت» وهو يجرى بين بحيل بني النجار... ويماجي ببيكائه «الله»

أخي كان «هو» والذين معه كلهم «منا».. من المحرومين.. تراه ولأول مرة تستخدم القصاصة والبلاغة في بيانه وخطاباته القراء لأجل انتقادنا وتوعيتنا، لا لأجل تبرير وتوجيه محروميتنا وتدعيم الانظمة الحاكمة... كان حديثه أفضل من «دموستيس» ولكن لا، لإعفاق جموعه الشخصية فقط... كان كلامه أبلغ من «يوسويه»<sup>(١)</sup> الخطيب ولكن لا للتسلق في بلاط لوي بل لأجل المطولمين ليصرخوا بسوجه التسلط سعه لم يشهر للذود عن نفسه وعائلته وقومه... ولا لحماية المتدريين المتحصنين... بل كان أسعن وأصدق من «سيارثاكوس» لأجل حلاص من الذل والعبودية... كان يفكر أحسن من «سقراط» ولكن لا لأجل اثبات الفضائل والأخلاقيات التي عليها طابع النبلاء المتميزين، بل

(١) جاك بيبسي يوسويه، لاهوتي وواعظ وكاتب فرنسي، ولد في ديجون عام ١٦٢٧، ومات في باريس عام ١٧٠٤، اشتهر في باريس بموعظه وخطابه التي ألقاها بين ١٦٦٧ و ١٦٨٧، تحول إلى فيلسوف ومؤرخ حرصاً منه على فائدة تلاميذه فكتب «التقال في التاريخ الكلي» الذي حاول فيه التركيب بين النظام الإلهي والقاعدية الإنسانية. انظر: معجم البلاسفة، جورج طرابيشي، ص ٢٠٣

لإحقاق القيم الإنسانية الأصيلة لأنه لم يكن من ورثة القراصة والكهنة ، فهو لا يملك محراباً ولا مسجداً ، أنه شهيد المحراب.. «هو» أسرة حسنة للمدانة والتفكير البناء ولكن لا ، ازوايا المكتبات والمدارس ، وهو لا يمد من العلماء الاسترطابين الذين يصلحون لأن يوصفوا في المعارض للسمع ، في حين أنهم من شدة التفكير العميق لا لا يفهمون مصائر الناس ولا يمارون شيئاً من عدايتهم ولوعايتهم وجوعهم الفاني

انه في ذات الوقت ، حينما تجول روحه العظيمة في أرجاء السماوات ، يسمع ، انين الاطفال اليتامي فتنتابه رجفة محرقة بسوس على كيانته كله

انه يصرخ لأجل جور جرى على امرأة يهودية في حين انه نفسي شدة ألم ضربة الضجر القاتلة في المسجد ، قائلاً ، «فزت ورب الكعبة»!

أجل يا أخي ، انه ملك البلاعة والكلام العذب الساحر ولكن حديثه هذا لا يشابه أبداً بالشاهامة ، تلك الملحمة الحماسية التي تحوى على ستين ألف بيت ، حيث أنك خلال هذه الملحمة كلها لا تجد حديثاً «عنا» سوى مرة واحدة فقط .. أجل مرة واحدة تحدث الشاعر «فردوسي» عن واحد «ماء» يدعي «كاوة» ، الحداد الحر ، المااصل من أجل الحرية ونهضة الخلاش والنجاة لرفاقه الكادحين ، ولكن سطلنا الجصور هذا صاع وظل مجهولاً قبل ان تشر جهته ويمنح طريقته الى الشاهامة .. أجل كن تعرض شخصيته بشكل واضح بين ، هلام ؟ لأن

شخصية «فريدون» النبيلة ونسبه المرتقي طمعا على طولة هذا الرجل الكادح ... ولذلك فإننا لا نرى اسمه في (الشاهامة) إلا خلال أبيات معدودة فقط

والآن يا أخي الانعش في عصر ومجتمع يحتاج «اليه» ... هو لا يفارق يباقي الحكماء ولا يشابهه العياقة والمعلماء ، إذ أنهم كانوا عياقة فهم ليسوا رجال أعمال ... وإن كانوا رجال أعمال بل ومن الكادحين هم ليسوا مفكرين وعياقة ، وإن كانوا في ذات الوقت رجال أعمال كادحين وعياقة مفكرين أيضاً فهم ليسوا رجال مبادئ الحروب والجهاد وإن اجتمعت - بفرض الحال - الثلاثة عندهم في آن واحد ، فهم ليسوا أقباء واركباء وإن توفرت لديهم كل هذه الخصال فهم لن يعرفوا الله حق معرفته بل تراهم يتخطون في دوامة مظلمة عشواء

انه وجب كل هذه الأبعاد الإنسانية كواحد من الكادحين معني ومطلق تماماً ، يكذب ويصعب ، وينسى الأثام التي حطب تلك السطور الملكرية في «هيج البلاغة» يدفع بمجرائه في الأرض ليسمر بئراً أو ليحدث قناة ويصع الماء على الأراضي البائرة اليابسة ، كأحد العمال والزرايع تماماً ولكن لا لهذا ، وذاك ، بل لنفسه ، يصرخ في قعر القنارة جروني الى ، لا على ، وحينما يبروه الى فوق وهو مسخلى بالوحل ، ينهمر الماء من تلك الأرض العطشاء المحرقة نسحر السدينة ، ففطر بنوهاشم ، ولكنه قبل أن ينتفس الصعداء ويستريح قال ، «طوبى للدين



سيرثوني، فإنهم لم يحصلوا على قطرة من هذا الماء.

أخي والآن... وفي هذه الحالة حاجتي اليه ملحة ولا بد أن عيم مثله يمتني في هذا الطريق الشاق المليء بالمصائب والويلات، لأن المضاربات والاضافات والاديان والمذاهب تفرقت وأدبرت وانتقلت على عقبيها وارقموا الانسان ليكون حيواناً مستهلكاً اقتصادياً أو حيواناً لا يعرف سوى ذاته والاستغاة فقط، صارقاً عمره في اركة المعابد، وقد يكون انساناً فكوراً عاقلاً ذا بصيرة ولكن دونما عاطفة أو احساس، كأنهم لا يعملون بين جنسهم قلب انسان، اناس قشريون، غلطاء، لا يدركون معنى للمحبة، وقد يكون رجل حب واحساس وعاطفة ولكن دونما تدبير وتعلم، عقلهم خالي من التفكير السليم، دونما علم - جهال، دونما منطق واستدلال... غير انه رجل كل هذه الخصال... ربّ الكدح والنصب والعمل... ربّ البلاعة والفصاحة... ربّ الجهاد والحرب... ربّ الاخلاص والوفاء... ربّ العذاب والحرمان... ربّ السكون والسكوت... ربّ الفسحة البهية... ربّ المدل والمقسط

والآن يا أخي... معيش في مجتمع تسيطر الأعداء على نصف أو بالأحرى على كل العالم، فيدفعون جيلنا هذا الى استعباد جديد لم يأقوه من قبل

والآن إذا نظرت الى ظواهر الأمور، وبشكل قشري وسريع عاطف ترانا انساناً أحراراً، لسنا عبيداً لأحد أو فئة أو تكتل اجتماعي

أو سياسي أو غير ذلك، لأن اليهودية وقصة الرقيق أمنت من القضايا الرجعية الحالية!!... ولكتنا - يا أخي - ابلياً بيهودية جديدة افطخ واتمس من عيودتك «انت»... بهيو تفكيراً... قيدوا قلوبنا وسلبوا ارادتنا... أنهم يجعلوننا تنمو في مصاء شاحن باستعباد متوج بعمارات انحرية وبمدرات الملم علم الاجماع، الثقافة، الفن، حرية الجنس، حرية تقديس الشخصيات، حرية الاستهلاك وحرية الاستيلاء والنصب... أجل بمدرات هذه العلوم استأصلوا انفاية والايمان والاحساس بالمسؤولية والاعتقاد بمذهب «معين» من ادمننا وعوسنا.

والآن يا أخي... نحن امام هذه الانظمة الحاكمة تشبه الى حد بعيد، الاوعية الملونة الجميلة الجوفاء، تستوعب كلما يصب في ادمنتنا وهوسنا.

والآن... باسم الفرق والمذهب... باسم السلالة والنسب... باسم الأوطان والحدود... وحتى باسمه «هو» وكذلك باسم متارعيه ومخاصمه... باسم هذه التعابير المصطنعة قطعوا ومزقوا قطعاً صغيرة ليسهل عليهم بلتنا... يا للفرقة... يا للشقاق والنفاق... يا للشتت والتبثر...!!

جمعوا ماحصريه وشيخته ينتفضون على أنفسهم ويمزقون رفاقتهم واخوتهم... أعداء الداء مع بعض... لماذا؟ لأنه لا يسيل يديه حين

الصلاة ... يعتلي دم الانتقام في وجوههم ... لأنّ ذلك يسجد على تربة وهذا لا يسجد عليها

ابتدوا في قوسنا الاشتباك والتزاع والمشاغبة بشكل تطيح .. هو رواد الفكر الاحرار وأبدوهم الى اقطار بعيدة عما في حين انهم بدأوا يمثلون دور الراعي المحافظ والذائد عن رعيته وقطيعه !!

أحي، يا أحي .. لقد كنت تعرف سيدك ومولاك وكذلك أم الخير والوساطة جيداً دونما سخط أو إهمال .. كان يسيراً عليك ان تشعر به وبحسه .. اذ كنت عارفاً ببيودك .. وتعرف أيضاً سبب هذه العبودية .. وتدرى متى أصبحت عبداً ومن هم الذين استعبدوك؟ ولكن لأنّ «بسا بنفس» أساساً هذه ولكن بدون أن نعرف الذين جعلونا عبيداً لهم في قرنتنا الحاضر هذا، ولا ندري من قبل أي فئة أو جهة سلب ونهب وكيف وقتنا في شرك الدل والاستسلام والحصوع وانحراف الافكار والمعتقد والعبودية لمشؤومة السوداء الرهيبة

أحي، يا أحي، الآن، يحزونا كاليهاثم الى حظيرة الرق والاستعباد ليستندوا دماءنا ويستعلونا أكثر بكثير من عصورك وجيلك ... ليس اماننا طريق سوى تشغل هذه القوى ورؤوس الأموال والمصانع والثروات الفتية الهائلة والانتاج، يجب أن ندير محلات هذه القوى بدماً ولحمنا واضطهادنا واستصافنا ولا يصحنا سوى ما يسد رمقنا ولا سد ..

الجرمان والتميز المنصري والنظم والجور في عصرنا اشد وأكثر من عصورك ولكن بنماب جديد وطريقة اجدد

أحي، يا أحي ... هذا عليّ تراء يقدم حياته كلها لأجل هذه الكلمات الثلاث ...

خمسة وعشرون عاماً كلها تصحبة وقدام وصال من أجل خرس الايمان والمعبدة في قلوب اناس غلاظ متوحشين متعرقين، خمسة وعشرون عاماً آخر قصاها في حسرت مرير وصبر قاتل كان في عينه شحى وفي حلقه قذى من اجل وحدة المسلمين اتجاه الامبراطورية الرومانية والامبراطورية الالمانية، كذلك خمسة وعشرون عاماً آخر من بقية حياته كانت مفعمة بالجد والجد ومملوءة بالضباب والبلوعة من اجل استقرار العدالة الاجتماعية ومحو كل آثار النقد والفضائح بسفه الصيار ذي الفقار لتكون احراراً تملك مصائرنا ولا نعبد إلا الهماً واحداً مقتدراً عزيزاً، ولكن يا للأسف لم يقدر ... لم يقدر ... مع هذا فقد علمنا بمنهجهم ومدرسته وطريقه وكذلك الرعامة والسيادة دوماً ... منهج العدالة ورعامة الناس وعلى هذا مهر تارك وراه ثلاثة شعارات وعلى اثرها فقد قدم نفسه وعائلته وكل ما يملكه على منصة الاستشهاد والقدام وذلك لأجل هذه الكلمات الثلاث الخالدة في مجرى التاريخ.

المبدأ ... الوحدة ... العدالة الاجتماعية ..

تويييا . الحفارة - الذين

### حوار مع توينبي<sup>(١)</sup>

قال لي: دهمي، طرح هذه المسألة الشخصية قبل أن تبدأ حوارنا أنت تعرف أنني رجل مؤمن وانظر إلى الدين من منظور كونه حقيقة وضرورة ماثلة إلا أنني أعاني الشك والتردد في أفكاري وميولي السياسية، فكثيراً ما أشعر بالحيرة في كيفية الجمع بين نوعي الدينية التي لا تتلاءم طبيعة الحال إلا مع نظام اجتماعي -سياسي مثالي، وبين افكاري السياسية المثالية والمعجبة جداً بالنظام الألماني. فأني بصفتي مسيحياً مؤمناً أدعو إلى نظام حكم ديني وبصفتي ناصراً للديمقراطية تؤيد نظام الحكم الألماني وهذه الازدواجية جعلتني أهاني دائماً من صراع واحترام عفيف في أفكاري

قلب انه صراع منطقي وضروري وليس بوسمك إلا أن تحتار

(١) أرنولد توينبي (Arnold Toynbee)، مؤرخ وفيلسوف إنكليزي (١٨٨٩ - ١٩٧٥)، أكد في مؤلفه الرئيسي «دراسة في التاريخ» إرادته في بدء فلسفة التاريخ انطلاقاً من دراسة إحدى وعشرين حضارة من مؤلفاته الأخرى «الحرب والحضارة»، «الحضارة في مهنته» انظر مجلد الفلسفة، ج.س.ج. طرابلسي، ص ٢٤٦

وأحداً وتدع الآخر

قال: اظنّ، بك، تماني نفس هذا الصراع بشكل أكثر حدّة لأنك مرحت الاسلام مع أفكارك السياسية، اللهمّ إلا أن تقول: أنّك لا تؤمن على الإطلاق بنظام الحكم العلماني وهذا ما يستبعد تصوّره لأن منهجيتك في التفكير وحتى وجودك في هذا الحقل يدلّان على أنّك تؤمن ايماناً راسخاً بالحرية والديمقراطية إذن أنت تطالب بنظام حكم اسلامي من جهة ونظام حكم علماني من جهة أخرى، فكيف يكون ذلك؟

في هذه الأثناء تحدّث شخص ثالث كان جالساً معنا وقال بمزاح: «أنا حلّ هذا التناقض هو أمر سهل بالنسبة إليّ» (وأشار إلى...) اظنّ أنّه سيثبت لك الآن أنّ نظام الخلافة الاسلامي هو نوع من الحكم العلماني!!

قلت: كلا، على الإطلاق، فالخلافة ليست نظاماً علمانياً بل حتى لا يمكن اعتبارها حكماً اسلامياً. إنّها حكومة عنصرية جاهلية مصبوغة بصيغة اسلامية. فلم تقم الخلافة على اساس اسلامي وإنما استغذت الاسلام وسيلة للدهاع عن نفسها وجعلت منه حارساً أمنياً يدافع عنها. قال توينبي: لا، هذا ليس صحيحاً، أنّك تريد ان تنسب أفكارك وعائدك الخاصة الى الاسلام، بتصير آخر أنّك لا تطرح الاسلام كما هو بل تطرح اسلاماً خيالياً يعجب المتصنعين في وقتنا الراهن. انا اعتقد أنّ

عليك أن تتقيّد بحقيقة الاسلام. فالاسلام هو الشيء الذي كان موجوداً لا الشيء الذي تنصي ان يكون موجوداً. ثمة فرق بين الاسلام الذي تنمّاه أنت كمتشكك متأثر بالثقافة الاشتراكية والنفاد الديمقراطية وبين الاسلام الذي جاء به النبي محمد (ص) في القرن السابع الميلادي وأمس به العرب وصلوا بأحكامه منذ ذلك الحين

قلت: ان سمحت لي بإكمال حديثي لفهم ان انتقادك الوارد هذا ليس وارداً عليّ

قال: ماذا تعني؟ فإن كان الانتقاد وارداً كيف لا يكون وارداً عليك؟

قلت انتقادك وارد لأن هذا الكلام هو كلام صحيح فانا يجب ان لا ندين عواظنا وأمرجسنا المعاصه في المعائن الا ان هذا الانتقاد ليس وارداً عليّ لأنك لو استمعت الى كلامي لرأيت انني لم فعل ذلك

قال: عذراً، انا استمع إليك

قلت: انني عندما اطرح فكرة انحكومة الاسلاميّة اقصد بذلك حكومة النبي محمد (ص) وبعض حذائه الاوئل الذي كانوا يعملون بسنته، في حين انت تنظر الى خلفاء الامبراطورية العثمانية أو الى حكومة الخلفاء في اسبانيا وبنّاد وسوريا أي الى الحكومات التي ينقر منها المسلمون المشفقون أكثر من غيرهم

في البداية، علينا أن نعرف ما هي الحكومة الدينية؟ الحكومة

الدينية هي الحكومة التي يحل فيها رجال الدين محل رجال السياسة. بتعبير آخر الحكومة الدينية هي حكومة رجال الدين على الشعب.

الاستبداد هو من المعالم الطبيعية التي تنسب بها هكذا حكومة لأن رجل الدين سيستغل منصب خلافة الله وتنفيذ أوامره في الأرض. وفي هذه الحالة سوف لا يكون للناس حقّ لإبداء الرأي والاستفتاء والاعتراض. فالزعيم الديني يحلّي نفسه حق الزعامة والقيادة مرتكراً على قيمته واعتباره الديني لا على قيمة آراء الناس وانتخائهم. إذن هو حاكم غير مسؤول وهذا النوع من الاستبداد هو أسوأ أنواع الاستبداد والدكتاتورية الفردية. لأن الحاكم الديني يظنّ أنه خليفة الله وظلّه الممدود في الأرض فهو يسيطر على رقاب الناس وأموالهم ونفوسهم ولا يتردّد في أي نوع من الظلم والاسراف والاعتداء بل يعتقد أن هذه الأعمال مفرونة برضا الله تعالى عز وجل، والأمر من ذلك أنه يعتقد أن ممارضي حكومته واتباع الأديان الأخرى لا يستحقون حتى حق الحياة لأنهم هم الصالحون الذين غضب الله عليهم وهم أعداء دين الله والحق وأن الاعتداء على هؤلاء وسلب حقوقهم هو أمر عادل بل هو العدل الإلهي يميده!

لقد حكم القساوسة في القرون الوسطى بلاد أوروبا باسم الحكومة الدينية وقد رسم فكتور هيجو تصويراً دقيقاً بجسد فيه مساويء هذا النوع من الحكم

أما الاسلام، فلا يمكن إثارة هذا الأمر فيه لأن المجتمع لاسلامي لا يوجد فيه رجل دين بالمعنى الذي نراه في الأديان الأخرى. فلا توجد فئة خاصة باسم (روحانية) «الكلمة» التي تعادل كلمة «Clerge» باللغة الانجليزية. الدين في الاسلام ليس مهنة والارتباط بين الفرد وربه في هذا الدين هو ارتباط مباشر وأنّ تحصيل علوم الدين في الاسلام لا يقتصر بفئة خاصة بل فرض هذا لدى طلب العلم على كل مسلم ومسلمة ولم يسمح لأحد بالتقليد في أصول دينه كما فرض التديع الديني والدعوة إلى المبدئية، الأخلاقية على جميع لشعوب المسلمة ولم يخص جماعة بهذه الدعوة للكرامة. فلا يوجد في الاسلام رجل دين رسمي أو مبلغ رسمي أو معشّر رسمي أو متدوب ديني رسمي. فالجميع جود مبلّغون يرتبطون بالخلق بالعالم، وهم في الوقت ذاته مفكرّون مستقلون مسؤولون عن أعمالهم وعقائدهم وهذا هو المبدأ الفردي الليبرالي في الاسلام الذي تدعي أمريكا دجلاً أنه ينتمي إليها وهو أساس الديمقراطية الانسانية التي تضمن حرية الفرد وتحافظ على حقوقه بحال المجتمع وعلى قدرته ومركزيته<sup>(١)</sup>

(١) صحيح أن هناك جماعة خاصة باسم «علماء الدين» تلورت بسبب تعقيد المسائل واتساع رقعة المجتمع الاسلامي إلا أن هذه الجماعة هي جماعة من رجال الدين العاديين وليس جماعة رسمية فهي جماعة قابلة للاستفتاء والاعتراض وليست جماعة مقدسة غير مسؤولة، ومعصومة مصانة من الخطأ

وداعاً...

يا مدينة الشهادة

قدوا في طوسية حير الناس كلهم      وليس شئهم هذا من العبد  
ما يفتح للجس من قرب الركن وما      على الركني بطرف الجس من صدر  
هيهات كل امرئ ومن يما كسبت      له يسأله فتخذ ما شئت أو قدّر  
لا اضحك الله من الدهر إن ضحكك      وأل احمد مسلولون قد قهروا  
مخزون ثلوا عن علق دارهم      كسبتهم قد جئوا ما ليس يفتقر

\* \* \*

ما أبلغ مزار سلطان أرض طوس وما أفصح قبة الذهبية التي  
تعلو سطح الحرم، الحرم الذي يرقد فيه الخليفة والامام، الجلال  
والشهيد

مادة أقول ؟

يرقد هارون في وسطه والامام في إحدى رواياه لأنهم دفنوا  
الامام الى جانب الخليفة تكريماً له

كان مدفن الامام في البداية داراً لحفيد بن قحطبة وكان صحن  
حرم الامام يستأنأ نايماً لتلك الدار وهو البستان الذي سُمي الامام بعنه  
يا للعجب كم يستطيع المعمار أن يكون معلماً ومهتماً !



المالم يتحدث اليوم عن «فلسفة العمران» ولكن في أي مكان من الأرض يستطيع المعمار أن يكون فيلسوفاً عميقاً كهذا؟

يتحدث المالم اليوم عن «فلسفة التاريخ» ولكن في أي زمن استطاعت «فلسفة التاريخ» أن تتجسم في شكل بناء كهذا البناء؟

أربعة عشر قرناً مضت وهم يتحدثون عن «إسلام التاريخ» و«تاريخ الإسلام» ويدرسون الحقيقة والإيمان والتحرير والسلام والحق والتضيق والخلافة والامامة والظاهر والباطن والكفر والإيمان والإسلام الحاكم والإسلام المحكوم و...

ولكن أي محقق ومبلغ وكاتب ومؤرخ ومتكلم ومفسر وفقه ومحدث.. استطاع أن يجسد الحقيقة كما جسدها هذا البناء؟

من سهم استطاع خلال هذه القرون الأربعة عشر أن يجمع كل هذه الرموز والأسرار والمفاهيم والبراطيق والاجتهادات والبحوث والجدل الديني والصراع السياسي والمذاهب الفكرية والتضاد الطبيعي والملاحات الاجتماعية والصراعات التاريخية و... كل شيء في بناء واحد وقية واحدة؟ بكلمات منقوشة على الحجر وعبارات مرسومة على الفضة والذهب والرخام وعبارات مكتوبة على «الابواب والجدران» وقوش في «البيوت النابية» وفي قوائم الأنظمة والمظومات...

تأملوا في اسم «البيوت النابية» للحرم.

دار الحفاظ، دار السيادة، دار الحياة، دار المزة، دار السعادة و

وفي النظام الإداري:

الخمر الأول، الخمر الثاني، الخمر الثالث، الخمر الرابع، الخمر الخامس، الخمر الرسمي، الخمر الفكري، الخمر الإداري، دائرة المراسيم، دائرة الاعلام، دائرة البساتين، دائرة الاملاك، دائرة الاراضي والموقوفات والاجارات والدور و...

وأما قائمة أسماء أولئك الذين حلدوا اسمائهم في الكتب أو في النقوش العميرية بواسطة ايجاد بناء أو تجديد بناء أو تدهيب إيوان أو منارة تكريماً لهذا الممرار المقدس: السلطان محمود العزبوي<sup>(١)</sup>، السلطان سنجر السلجوقي، شاه رخ أسلك المغولي، جوهر شاد الملكة المغولية، بايسنقر الأمير المغولي، السلطان أبو سعيد، السلطان ياير شاه، إلهاء عباس الصوري، نادر شاه و...

وهناك قائمة طويلة بأسماء الأعيان والأشراف والأمراء الإيرانيين والأتراك والتتر والمغول مذكورة في الكتب ومسي عنود الوقف.

وكل هذا يدل على أن «صانعي حوادث التاريخ» قد لجأوا إلى

(١) ظهر القربويون في أواخر الدولة العباسية وتركزوا في خراسان واتخذوا من مدينة غزنين عاصمة لهم، ومن أشهر سلاطينهم السلطان محمود الغزنوي

هذا المكان المقدس في مساوىء حوادث الدهر. فقد كان ملوك الزمان وجبايرة الارض يتسارعون لتبيل هذا التراب والسفوح امام هذه العظمة وكان هذا الصريح مبعداً لرجال ثلوث السلطة في التاريخ الامراء والملوكه الاقطاعيين، ورجال الدين الذين طالما استبدوا الناس سياسياً واقتصادياً وعقائدياً، يتوجهون وكأنهم رعايا الى مزار السلطان علي بن موسى الرضا معتبرين بذلك عن انتساب سلطانهم وقدرتهم ومعهدهم السياسي والسادى والمجوى الى هذا المزار السماوى المقدس الذي منحهم هذه السكاته واعطاهم هذه المنصب في الارض، فإن شمس حياة الناس (مؤلاء) ليسوا إلا اثماراً صغيرة تدور حول «شمس الشمس»، سلطان أرض طوس

ولذا نرى السلطان عباس الكبير يعطى بطله وسلطهما على رقبته ويمشي على قدميه الخافيين من أصفهان - عاصمة الدنيا - الى مشهد «الرضا» ايماناً وازادة واخلاصاً رغم جلاله وجبروته وقدرته وسلطانه ورغم وجود صالة تختص بالموسيقى والشراب في قصره «عالي قاي» ورغم أنه كان يقتل المذكور في هائلته لتي نفسه حطر ظهور من يناقسه على السلطان.

وفي حرم الامام نرى هذا السلطان يفتش رؤوس الشعوخ كالخدم فينشد العلامة الشيخ الهائي الذي كان أكثر رجال الدين قدسية في زمانه هذا البيت البديع في حضوره:

فدعنى تديه لعتبات رضى حاتم ..... ندم بئزى شهر جمادى امير  
ومعاً

«ايها الخادم خذ حذرك في استخدام المقص، فأني احشى ان تقص به جناح جبرئيل الامين»

وبرى الملك الشهيد ناصر الدين بنشد هذا البيت وهو قتل ثرى قدم الامام.

قد كلفك حريم دور موسى ..... هوساى كليم ما عهدا مريدم  
«في منزع أخذية حرم ابن موسى ارى موسى الكليم مكتكاً على المعصا»

لقد كان هذا المرار مدجاً للشاردين وملأاً للهاريين وماوىً آمناً لمن كان يقر نفسه من سيوف الطلماة والجلادين.

وهكذا أصبحت «مشهد» مدينة كبيرة عهد هجوم جنكيزخان وبعد أن أراق ابنه «تولي» دماء أهالي مدينة طوس، لجأ من استطاع الهروب بنفسه الى صريح الامام وسرعان ما تحول هذا المزار الصغير الواقع في ضاحية مدينة طوس الى مدينة كبيرة وامست طوس مدينة حرة مهجورة تقع في صاحبة هذه المدينة

بعدها حاول حلفاء جنكيز ارجاع الناس الى مدينتهم ولكن لم يرجع احد، فقد آثروا ان يبقوا إلى جوار امامهم غرباء كإمامهم الغريب

ويتركوا ديارهم الى الأبد.

وهكذا انشئت هذه المدينة!

وما زالت هذه المدينة على هذه «الستة» التي كانت عليها من قبل.

إن هنا لك شيئاً خفياً في هذه المدينة يعاطب القلوب ويحكي من عظمة هذه «الروح» فهي تضم الى صدرها الزلزال الجريئة الهاربة من مطاردة الصيادين في صحراء اللهب والهول هذه. الصحراء التي لا يعيش فيها سوى الذئاب والقران ولا تسكن فيها إلا النعاج لأنها دولة سمحة الصاد.

اما الزلزال فهي طبيعة تجوب كل مكان ولا ملجأ لها في هذه الصحراء القاحلة لأنها لا تمتلك أبواب الدئاب ولا رقياً تطبيق القيود. فهي هاربة دائماً من مزع هذه الصحراء الجرداء.

الصحراء هي التاريخ يعينه قد تجسد في قالب جغرافي، فهي عظمة مرمورة صامدة قاطعة مسلمة قاحلة، لا ماء فيها ولا روح ولا جبل شامق معرور ولا نهر حاري مسرور ولا اغنية بيع عاشق ولا بستان ولا سحابة ولا زهرة ولا منظر ولا مرتع ولا طريق ولا سفر ولا منزل ولا مقصد ولا حركة نهر ولا قاع بحر ولا صرخة رعد ولا لمعة برق

إنها مكان هاديء معروق حزين قاطع. فهي مسكن للحيوان والجن والارواح الخفية والدئاب وملجأ للرسواس الضاس والفاسق

الراقب والعات الساهر والحصائد الحائن!.. أنها موطن الحبال والاسطورة. فهي سراب، لأماء فيها ولا شجر، يسودها السكون، لا بسب الهدوء والسكنة بل من شدة الخوف.

لهيب هوائها القاسي يعني المع في الدماغ وحرارة رماها تفرغ النباتات عن الإنبات. وتأنس فيها وجوه مشوية ونواصي مجعدة وحظام منتهرة يكسوها الجلد.

التمنن في الصحراء امر صعب ولهذا يصعب الناس الايدي على العيون لكي لا ترى الصحراء أنهم يرون ولا تعرف انهم يعرفون.

وبين الحين والآخر تهب في الصحراء عاصفة فتقلب كل شيء وتحجب السماء عن الارض الا انها تهدأ بعد قليل ليبدو وجه الصحراء من جديد وكأنه لم يطرأ عليه اى تغيير. فالصحراء تحصف وتهدأ ولكن دونما اى تغيير فهي كالبهر، غير أنها ليست بحراً من السماء والسطر واللؤلؤ والسملك والمرجان بل من التراب والرمال والغبار والاصاعي والورع واليرابيع...!

أعذب الكائنات التي تعيش فيها هي من الراحف، غير أنك تجد بين الحين والآخر طيوراً حاققة لاموطن لها ولا ملاة تذكرك بنفسه بيضاء طاعور ولكن لس في الهند بل في ارمينيا

اما نبات الصحراء فهو «الحصائر» وهذه الاشجار التي تتسم بالشجاعة والصبر تتحدى الصحراء فتخرج شطأها من صدر

ومائها الملتهمه مستسمة من الماء والمدح والثناء ثم تستوي على سوقها  
ويظهر بمظهر الآلهة في هذه الصحراء: شجاعة وغرور ووحدة وغربة،  
كأنها سميرة العالم الآخر في قلب الصحراء  
هذه الأشجار الشجاعة التي تست في قلب جهنم ليس لها ورق  
ولا تمر لأن شوق الأزهار والأثمار قد وند في سيقانها وأعصانها. وأما  
مصير هذه الأشجار فأنها تحت من جذورها بحريسة التجاسر على  
لصحراء فتوصع في التنور وتحرق ليحير بها الرغيف، هذا هو مصيرها  
المحتوم.

واليوم...

جاء خيال حائف إلى مرار حاملي النيران  
ليلجأ إلى حمى أمته وأيمانته  
لأنه سمع أن عيناً تبست من العيب في هذا المكان  
وأن يستأنأ غطى التراب بغطائه الزمردى  
إلا أن تلك العين لم يتبع منها إلا «المكر»  
والبستان لم يزهر فيه إلا الورد الأسود والعنب المسموم والزمان  
تقاتل.

فأصبحت قصة هذا الغزال<sup>(١)</sup> تذكر بمصير قومه  
الذين خلصوا رفاقهم قبل مئات السنين

(١) المقصود بالغزال هنا هو الشاعر الفارسي صاحب الشاهنامه

من «قيود عدل أنوشيروان»<sup>(٢)</sup>،  
ولجأوا إلى المدنة بحثاً عن «عدل بلا قيود»  
ولأن المطاف آل بهم إلى مصاد  
لجندوا أنفسهم قيوداً «وعدل القيود»  
رحلوا ليبحثوا عن النبي  
غير أنهم وجدوا خليفة الماصب  
واليوم  
لجأ إلى الإمام رجل وحيد  
من أحماد هؤلاء القوم الخائبيين  
إلا أنه وجد في حرمه الظاهر نائبه الماصب  
ماذا أقول؟  
وجد جلاًداً يرقد في حرمه  
يا لها من دائرة محيطة !  
أن أقرب الناس إليه  
هو أشد الناس عداء له  
وان الأقرب مداراً إلى محور الصدق وشمس الغيب  
هو الأكثر كذباً وأشد مكرًا

\*\*\*

(٢) وهو لسلك الفارسي المادل (المترجم)

وهذا المهاجر الوحيد، الغزال الطليق  
هو من أحفاد أولئك المهاجرين الغائبين، تلك الغزلان الحريصة  
الخائفة .

التي وجدت إلى مهبط الوحي  
ملبية نداء النبوة .

هرباً من الثالوث المشؤوم: «كسرى، دهقان، موبد»<sup>(١)</sup>  
بحثاً عن الثالوث الإلهي المقدس: «الحزبية، المساواة، الوحي»  
ولا أنهم أصبحوا ضحيةً لثالوث آخر أكثر شؤماً: ثالوث «الخليفة  
- الصيغ - الخفية» لقد ترك هذا المهاجر الوحيد، قطع نجاج الصحراء  
الجماعة هرباً من ثالوث «الذهب - الصلب - النار»

ملبية نداء الوحي .

بحسب بكاد أن يكون نلجني اللون من شدة ضرب المنياب .

وشماء تلتهب من شدة العطش

واقدام مجدرة من طول الطريق

وقلب مغمم بالشوق والعشق

لجأ إلى حرم الامام :

ولكن...

وامصبتاه !

(١) دهقان، الملاك والاصطامي الكبير، موبد؛ رجل الدين المجوسي

الله حرم «هارون» !

والامام يرقد إلى جانبه !

إلى جانب هارون ؟

أيحي هذا إن الامامة هي في هامش الخلافة ؟

أيحي هذا إن الايمان هو في خدمة الجور ؟

أيحي هذا إن لباس التقوى هو خطاه يغتلي هياكل الزور ؟

أيحي هذا تستر ثالوث «السيف - الذهب - السبعة» يستار

الدين ؟

أيحي هذا اننا نطوف حول هارون باسم الامام ؟

أيحي .

هناك الخلافة والرسول وهما النبأية والامام ؟

أيحي اختفاء رجس هارون في ضريح العصمة الظاهرة ؟

أيحي تطهير السلطة من جديد ؟

وتقدس الذهب

وتبرير الزور والتزوير ؟

أيحي دعوه الحلق إلى ريادة الخليفة باسم الدين ؟

لست أدري...

غير أنني أعلم أن هذه الشجيرة الصغيرة

سليقة شجيرات الغنشار والسحر تلك

ما أن أوردت وأزهرت حتى حلّ الشتاء  
 حاجتها من الجدور  
 تجار الحشيش وصناع الفحم وموقدو التيران وخيثارو الرغف لقد  
 امسكوا بتلك العزلة الهاربة  
 في حمى حاصيها  
 وسألموها إلى الصياد  
 ففي هذه النصر هجعت الحلاقة مرة أخرى  
 وأغار سعد بن أبي وقاص آخر في قادية أخرى  
 ورجع وحوش العرب من جهة العرب هذه المرة  
 قهيباً «مدائن»<sup>١٦</sup>  
 ودفعوا لسبا وإيماناً وثقافتاً وتاريخاً  
 وجازوا بالبيروية والجهل بستان المدينة والعلم  
 وهدموا الأسوار وألبروج واسقطوا الجدر والسقوف  
 واطمأؤا بيران المعابد .  
 و

مرتسك وزليجان وإن ساويان شؤاني همدان أحمد لندن هيلان  
 نه ترك دنه ليران، نه شارى بود مسجدها به كوندان ساوى بسود  
 بوجان كسلان نهى ممدود خويش بسويته وحيى آرمد نه هيلان<sup>(١٧)</sup>

(١٦) من الإيرانيين والترك والعرب ظهر عرق وجيل جديد

وفي حصون ذلك:  
 نهض ابن الفلاح الفروي الخراساني  
 برأس مال حمراء  
 وقدرة عشقه  
 يدون مستند وملاد  
 أهمل الحياة ليجمع ويدون ويذكر الناس بكل مخر وعشق  
 واسان وغنّ وحضارة وبطولة . قد اجتمعت خضفاء العرب وسلاطين  
 الترك وباعة الوطن من آل برمك وبويعت وطاهر وسامان وصقار و  
 والعلماء من قبيل المتّع وأهشيب و .  
 فكذلك حمساً وثلاثين سنة يدون توقع احرة لبشند «مذكّرة»  
 الايمان المسيحي لهذا القوم . غير أن أولئك الذين لم يطفوا استماع اسم  
 العظماء ولم يرغبوا في احياء الموتى وابصار المصمى تأمروا عليه  
 فشرّدوه من دياره وكفّروه وحرقوا الرهاج على ايمانه بدعوى أنه  
 رجل رافضي معتزلي . فاستدلوا بهذا البيت على اعتزاله:  
 «بـ سينتنگان آفرينته را ميبوى مرتجان دى ميسده راه»  
 واستدلوا بهذه الأبيات على أنه رافضي العقيدة

ليس إيراني ولا تركياً ولا عربياً ، يافى كلامه حمه  
 «خرو الناس طلباً لنا ففهم وجعلوا الدين ستاراً»  
 هذه الأبيات هي للفردوسي شاعر الحماسة الإيراني  
 (١٧) لن ترى الخالق بالعين فلا تؤدي حيونك ا

«عزيمتو كسيتي چو دريا نهاد  
چو هفتاد كشتي در او ساخته  
میان، یکی خوب كشتی عروس  
پسیمیر بندو اسدرو پا جلی  
اگر خلد حواشه به دیگر سواي  
گرت زین بد آید گناه من است  
بدایس زاسم وهم هر ايس بگذرم  
و مساهها

«هدما حلی خائک الکون البحر، وتلاطمت فيه الامواج عند  
هبوب الريح

صنع فيه سبعين سفينة، ورفع عليها الاشرعة  
وكانت بين هذه اسفن سفينة جميلة، كالعروس ومزينة كعین  
الديك

اجلس الله فيها اتبي، وعلي، وجميع اهل بيت النبي والوصي  
ان اردت الخلد في الدار الآخرة، خذ مكاناً بقرب النبي  
والوصي  
ان اصايك سوء من هذا فانما المسؤول، كن مؤمناً بهذا فاني  
مؤمن به

اني ولدت علي هذا وسوف اموت عليه، كن واثقاً من اتني تراب

قدم حيدر»

حزن كثيراً وعندما عرف نية السلطان محمود، خرج من مدينه  
عزتين الى سواد الليل و.. ظلّ هارباً... لمدة ستة اشهر... قيل له: انت  
رجل شيعي وكلّ من يتمسك بآل النبي سيكون مصيره.

حملوا اجرة عمله الذي استغرق خمس وثلاثين سنة على يعير  
وأرسلوه الى طوس.. وبينما كان البعير يدخل من بوابة (رودبار) في  
مدينة طوس كان الناس يخرجون جنارته من بوابة «ررا»

وكان هناك واعظ في محلة طبران طوس وهو هفبه المدينة  
الكبير اسمه الشيخ ابو القاسم الكرگاني اصّر يتصّب وقال: سوف لن  
أسمح بدفن هذه الجمازة في مقبرة المسلمين لأنه رجل راهبي. توسّل  
الناس اليه ولكن دون جدوى فاضطروا ان يدفونه في بستان قريب من  
هذه البوابة كان من أملاكه...

يغال أنه حلف بنتاً في عاية الكرم، أرادوا ان يسلّموا اليها صلة  
السلطان وبكتها آتت عن ذلك وفادت: «انا لست بحاجة اليها» فكسب  
صاحب البريد الى السلطان فأمر بإخراج ذلك القتيه من مدينة طوس»  
فاعتبروا يا اولي الأبصار

اولا البابا وماركس...



كان لكل من البابا وماركس دور رئيسي في تدوين فلسفته التاريخ على النحو الذي نراه اليوم او في بلورة نهضة جديدة تطالب بالمدلة الاجتماعية وترفض النظام الطبقي الاستعماري كما كان لهما الاثر الكبير في بلورة نزعة اجتماعية وخلق رأي عام يدعو الى تبديد النظام الاشتراكي ونيل النظام الرأسمالي في مصرنا الراهن. ففي اوربا كان البابا الذي يند رمزاً للسلطة الدينية ووارثاً لتاريخ الاديان يعمل على تحويل الدين الى نظام فكري رجعي تابع للطبقات الحاكمة، وكان الدور الطبيعي الذي يلعبه الدين هو تبرير الوضع الموجود واحتصاص قمة الشعوب المحرومة وتسكين عضها بالوعد والوعيد وهكذا كان الوصح بالنسبة للطبقات الانسانية الأخرى كالفلسفة والمحقق والفن والأدب والعلوم

وبعد عصر النهضة حث محرر العقل والعلم من قيود الكنائس وتحلست شعوب اوربا من سطوة حكم البابا ونالت استقلالها الحقيقي، أحدثت هذه الشعوب تطور بسرعة مذهلة، وسرعان ما حلت الأمم القوية محل المقاطعات الصغيرة واحتلت الاكتشافات والاخرعات مكان تقليد القدماء والمعيش على فضلات مواتهم، بيد ان المسطق

العلمي والروح التحررية الجديدة والرؤية الملمية الحديثة اتخذت وبشكل عفوي موقفاً ملبياً تجاه القوى الدينية الرسمية التي تصدّت بدورها لهذا التيار الجارف. وقد ساهمت البرجوازية التي تتنافى مع روح الخير والجمال المسوي والقيم الاخلاقية المتعالية في تقوية هذا التيار المناهض للدين، خصوصاً أن معظم ممثلي هذه النهضة الفكرية كانوا من افراد الطبقات الاجتماعية المتوسطة اي الطبقة البرجوازية الحديثة التي كانت تناويء الدين تارة من ناحية الروح الطبقية وأخرى من ناحية كونها تحاول اكتساح النظام الاقطاعي والقضاء عليه، ذلك أن الدين الرسمي كان يشكل البنية الفكرية والثقافة لهذا النظام البائد.

وفي ظل هذه التحولات ظهرت الماسكة لتتحول الرأسمالية التجارية الى رأسمالية صناعة وتؤدي إلى التركيز في الرأسمال من جهة والتركز في اليد العاملة من جهة أخرى، الأمر الذي أدى بدوره الى اتساع الهوة الطبقية أكثر من ذي قبل لأن قدرات انتاج الماسكة التي كانت في خدمة اصحاب رؤوس الاموال أدت الى ازدياد حجم رؤوس الاموال في ايديهم واستثمار اليد العاملة بشكل يشع للمائة الأمر الذي أدى بدوره الى اتساع الهوة الطبقية وتنامي معدل الاستثمار الطبقي عدة أضعاف وكان هذا هو السبب في بروز الصراع الطبقي الحديث وتمتد الرأي الحر ضد الاستثمار والماسكة والرأسمال من اجل انتقاد الطبقة

العاملة التي كانت تفقد يوماً بعد يوم استقلالها وحريتها بل وطابعها الانساني وتظهر بمظهر الآلة المرتبطة بالماسكة العملاقة.

لم تكن هذه الطبقة تملك أي شيء حتى أنها لم تكن تتمتع بالحياة التي كان يتمتع بها الفلاح القديم بل كانت تحصل لقاء عملها على اجرة لا تتجاوز القوة التي أخذتها منها الماسكة لكي تستطيع ان تستمر في عملها يوماً آخر كالفقر الذي يبع منه اراء بطاقة تموينية تسدّ جوعه ونصح له من الدّم ما يقدر أن يبيعه في اليوم التالي ليبقى يعيش هذه الدوام الرتيبة التي تسمى «الحياة».

وفي هذه الأثناء ظهر ماركس الفيلسوف الهيجلي الملحد الذي عاش بعد مرحلة النهضة في اوروبا

ماركس كان ينتمي الى طبقة برجوازية متوسطة وكان في الوقت ذاته ضحية التمييز المنصري والتسعم الديني بسبب انتمائه الى اسرة يهودية وقد تزامن ظهور ماركس مع انحركات العمالية واسعة النطاق التي اجتاحت دول اوروبا وخصوصاً ألمانيا وفرنسا وإنجلترا معقدة بذلك الظروف للارمة لظهور المذاهب الاشتراكية والشيوعية وانحركات الثمانية، وبالذات في فرنسا عملت هذه المذاهب على تحذير الانسان من مغبة الانصيهار في النظام البرجوازي السائد ووعايتة من المسخ والانتقاد لسلطة الماسكة ومهاصة ظاهرة التفرقة «بالعمل» الذي يعدّ الجوهر الحقيقي للانسان ومقاومة التوجه الاستغلالي الذي

كانت الماكينة تريد في وحشيتها يوماً بعد يوم والتفتت على الرأسمالية الفردية الداعية بشكل جنوني إلى الحرص والطمع والجشع...

وأيضاً الفتنة على القضاء الطبقي الذي صنف المجتمع البشري إلى مئات متعاضدة والعمل على انتقاد الطبقات الاجتماعية المحرومة خصوصاً عتال المصانع من أخلال الماكينة وهيمنة رؤوس الأموال وإيجاد مجمع حالي من التفتت الطبقي والاستغلال والجشع واعطاء الأصالة للعمل «لا رؤوس الأموال».

لقد دَوَّن ماركس في ظل هذه الظروف التاريخية والاجتماعية الحساسة، الأسس الأيديولوجية لنهضة انسانية قورية مناوئة للنظام الطبقي الاستبدادي معلماً أن انتصار هذه النهضة هو أمر حتمي وجبري زهماً منه بأن ذلك هو نتيجة حتمية للقوانين الاجتماعية والمعامل المادية الخارجة عن ارادة الناس ومشيتهم ومن ثم عمداً إلى قراءة التاريخ لكي يوحى بأن هذه القوانين هي قوانين علمية بحتة وأن هذه الحركة هي المرحلة النهائية لسلسلة التحولات اجبرية انشائية، مستنداً إلى قانون الجبر المادي للتاريخ، وقام بتدوين فلسفة التاريخ مرتكزاً على هذا الاساس

وامعاناً في اعطاء الأصالة والأهمية للنزاع الطبقي الذي كان طاعه يتسع بسبب ظهور الماكينة والرأسمالية الصناعية، ارجع ماركس أسباب جمع الحروب البشرية التي حدثت عبر التاريخ إلى العوامل

الاقتصادية ونظر إلى الحضارات والحركات الاجتماعية والصدارس الفكرية الانسانية وقصة الانسان من الزاوية التي كان ينظر منها هو في عصر الماكينة والرأسمالية واصالة الانتاج والاقتصاد (أي القرن التاسع عشر في أوروبا الغربية)، انا بالنسبة إلى الذين فقد كان ماركس يرى في وجه المسيح نفس الملامح التي كان يراها في وجه البابا وهنا يكمن خطأه! فالبابا كان أعنيه يقصر الروم منه إلى عيسى المسيح، السيد الفلسطيني العفافي الذي كان تاج رأسه أكلبلاً من الشوك وهو القائل «لن يدخل خزائن الأموال الجنة حتى يبلغ جبل المرساة في سم الخياط».

ليس المقصود من البابا هو البابا في القرن التاسع عشر ولا حتى جهاز الكنيسة الكاثوليكية بل المقصود الطقة الرسمية لرجال الدين الذين كانوا يتحكمون بمعائد الناس على طول التاريخ وفي مختلف المجتمعات ويستخدمونها في تحكيم اسس نظامهم الطالم الذي يعمل من الأكثرية صحية ل«ب» الاقلية المعاكمة وهذا هو السبب الذي دفع بماركس إلى اعتناق المادية كأساس فكري للنظام الاشتراكي متوسلاً بذلك لنهي الدين الذي يشكل الاساس الفكري لهيمنة (البلاء) وحكومة الاستبداد والتجبر، ولجنث بذلك جذور العبادة التي ترتكر عليها جميع الأديان

إذا أراد الانسان ان يفكر بحرية ويشاهد الاشياء بوضوح

وبصيرة، فعليه أن يمارس بنفسه الكشف والتحليل والتحقيق ويجتهد حتى يتوصل إلى حقائق الأمور ويحذر التقليد ويجتنب اجترار فتايات الآخرين، وعليه أن لا يتأثر بعنصرية الأبطال والعظماء والقيادة لأن الحق هو المقياس في تقييم الرجال وليس العكس، يقول أسير المؤمنين (ج): «اعرف الحق تعرف أهله».

أذن علينا نحن المتقنين المنتسبين إلى مجتمع آخر وتاريخ آخر ووضع آخر ودين آخر ورمز آخر أن نحذر السقوط إلى مستوى المؤمن العائلي المقلد الذي يحمل رسالة مرجعه الديني العملية ويستفتيه في كل الأمور. بيد أن هذا السقوط يبدو اليوم في عيون الكثير من اتباع «الموضة الفكرية» نوعاً من التجدد والتقدم.

إن قيمة أفكار ماركس - إن كانت هائلة قيمة في أفكاره - تكمن في سعيه إلى معرفة الحركة التي كان ينسب إليها والهدف المقدس الذي كان يؤمن به وتحليلهما تحليلاً علمياً وإعطائهما وجهة فكرية خاصة فقد همد ماركس إلى كتابة تاريخ لصالح هذه الحركة وهام بجهيرها بالجنسية والسطوة وعلم الاقتصاد وعلم الاجتماع وعلم الإنسان ومع الطبقة العاملة التي كان يشعر بالمسؤولية تجاهها وعياً طبياً وسلاحاً أيديولوجياً يمكنها من البقاء والاستمرار في طريقها.

أذن، هالتقليد العلمي والفكري لا يقتضي منا أن نكسر أعمال ماركس بطريقة عمياء وبأحد بما أملاه علينا بعبور محضنة، لأن هذا

النوع من التقليد يشبه كثيراً تقليد المريض الامي للطبيب المستعصم ويختلف تماماً عن تقليد الإنسان السليم الذي يسعى أن يكون طبيباً كالطبيب الذي يعالجه وشتان ما بين هذين النوعين من التقليد. لقد كان ماركس يرى الدين في وجه الأيها ومحتاً ومعتقداً دور الدين في المجتمع ليس بأكثر من الدور الذي لعبته الكنائس في القرون الوسطى وليس في ذلك أنه لم يكن يرى سوى الأديان الماكمة على التاريخ فقد كان يرى دين موسى في حكم «الحاحامات والاحيار» ورسالة عيسى في نظام الكنائس وإسلام محمد في سياسة العلماء والتشيع العلوي من حلال الحكم الصوري.

فإن أردنا أن نمدد ماركس في رؤيته هذه لن نكون اشتراكيين ولا مفكرين أصعب حق بل سيكون مقلدين أدلاء اغلقوا عيونهم وآذانهم وغمسوا أنفسهم وفتدوا الثقة بها وشلب منهم حق الرأي والاستقلال والقدرة على التمييز بين الخطأ والصواب، بل سيكون قد انكسروا المسلمات ومسحوا الحقائق ورفضوا الإيمان بكل شيء حتى بأصغتنا وأدانتنا وإدراكنا وفهمنا.

إن معرفتنا بالتاريخ والدين هي أوسع وأعمق بكثير مما كان يعرفه المفكر أنماذي في القرن التاسع عشر فقد كان المفكر المادي آنذاك يرى الدين من منطلق كونه ولداً للجهل والخراف والظلم التبلي أو النظام المادي والفكري الحاكم على المجتمع بينما يستطيع نحن اليوم

أن تفصل بين نظرتنا إلى الدين كقابلية إنسانية وبعد إنساني خاص وبين نظرتنا إليه بصورته الهيبة المستحقة في ظل النظام الاقتصادي - الاجتماعي ومرحلته التاريخية المعاصرة.

إن الدين هو شعور يبتق من وعي الإنسان ومعرفة نفسه ويدعو الإنسان إلى الكمال عن طريق تقديس القيم السامية من قبيل النجس والخير والبصيرة والطف والابداع والارادة والحرية والمعرفة والكمال والهداية والبر والعدل والحق ومناخسة الظلم والجهل والفساد والذل... وتجتمع كل هذه القيم في إطار التوحيد الذي يمد أكثر الأنظر الدينية شمولاً، في معبود واحد وهو الله تعالى عز وجل.

أما إذا استعمل الدين من قبل السلطات الحاكمة لحفظ مصالحها مستعملين أسوأ حاجة يسحق فيها الإنسان في الانظمة المعادية للإنسانية ويصبح الدين شهيداً في سجلات التاريخ.

إن رسالة المعكر الحر تتجلى في العمل على إيقاد هذه الصلحة وإحياء شهيد التاريخ هذا لا فيه وتكديبه وتلويثه، فإن لم يتم الفكر الحر بذلك فإنه يكون شريكاً لأعداء البشرية من التجالدين والسحرة والكهنة والفراسة الذين اغتالوا الذين وأردوه قتيلاً خدمة لمصالحهم الطبيعية البصيرة.

بعم، لقد لعبت الأديان الرسمية دائماً دوراً طبعياً قديراً ضد الناس والانسانية لصالح الطبقات الحاكمة، ولكن ألم يكن للفلسفة والسلم

والفن والأدب والصناعة نفس هذه الدور عبر التاريخ؟

إن ماذا عني، المعكر، المسؤول أن يمس؟ هل عليه أن يحور هذه القسم من الاستتار الحقيقي أم عليه أن يضيها من الأساس ويصب بوجهها بشكل مطلق؟

لقد كان لعلم والفن والصناعة وانسمران في خدمة اصحاب القصور ولم تكن للطبقات المحرومة أي نصيب من العلوم والفنون، ولكن ألا يدعو إلى السحرية أن نقرر اليوم انوقوف بوجه العلوم والفنون كونها كانت تخدم الطبقات الحاكمة فقط؟

إن علماء الاجتماع يعتقدون اليوم أكثر من المسلمين أنفسهم بأن الإسلام هو دين اجتماعي وأهمي يؤمس بالطبيعة والاقتصاد والاجتماع بل هو دين سياسي بحت، فقد عد القرآن الكريم «القائمين بالنسط» هي عدد «الانبياء» و«حرب الله المالين» ووعد المستصفين الذين سعتهم الانظمة اللا انسانية بإمامه الناس ووراثه الأرض مشيراً إلى أن هذا الأمر مستحق لا معاله وأند امر حبري ومحتوم، وقد كان النبي (ص) يؤكد على الحياة المادية بصحتها مقدمة جبرية للحياة المعنوية وعلى رسمياً أن.

«من لا معاش له لا معاد له» وقد وقف (ص) حياته في سبيل تحطيم نظام الترف الفكري والاجتماعي والاقتصادي وكيف يمكن مقارنة هذا الدين مع الدين الصوفي الذي يعتقد بأن نور

الإنسان وفلاحه لا يتحقق إلا بالزهد والمباذلة والرياسة والترف والاعتزال المجتمع والمسيير الاجتماعي بل حتى تسيان المجتمع والعالم؟! وكيف يمكن الحكم على هذين الشئيين المتناقضين والقطبيين المتضادين بعكم واحد؟!

فهل يمكن أن يكون هنالك مفكر عاشق المجتمع الاسلامي وحصل على حد أدنى من المعرفة عن الاسلام ولم يستطع التمييز بين الاسلام (الدين الحاكم هي التاريخ) والاسلام (الدين المحكومة والصحية والشهيد) وهل يصح له ان يصدق بأن الخلافة الاسوية والعباسية والحكومات الوارثة لها هي استمرار حقيقي لرسالة نبي الاسلام (ص)؟!

إن هذا الاعتماد هو بدرجة من السذاجة بحيث أننا لا نجد بين انوار الدين كانوا ضحية لأجهزة اعلام الجباية ومن المستحيل ان نراه بين المفكرين الواعين الذين يعرفون تاريخهم حق المعرفة

إن الفكر والايديولوجيا يختلف تماماً عن الطب والتكنولوجيا ولا يمكن اقتباسه من نتاجات الآخرين ومن معطولات علماء أوروبا، الفكر هو الوعي وامتلاك عيين بصيرتين قادرتين على رؤية الحقائق والمطورة الاولى لكي يصبح الإنسان مفكراً هو التعرف الدقيق والحقيقي على التاريخ و ثقافة الذاتية

فهل يصح لأي مفكر معتدل ان لا يرى الاسلام في حياة محمد

ورسائله ومسؤوليته ويتخذ أعمال وممارسات أجهزة الخلافة صميماً في حكمه على الاسلام؟ وهل يصح له ان لا يرى علياً (ع) الذي لم يمض اي انسان ثوري في العالم مثل حياته ولم يقاتل اي انسان مثل قتاله ولم يحكم اي انسان مثل حكمه، ويتخذ وعاط السلاطين معايير في تقسيمه وحكمه؟ وهل يسوغ له ان لا يعرف ابداً الذي راح ضحية للصراع مع الرأسمالية والطبقة الحاكمة المستجدة ويتخذ عثمان الذي قضى عليه، منطلقاً لفهم الاسلام ومعرفته؟ وهل يصح له ان لا يعدّ بلال الحبشي الذي كان يرى في الاسلام حرية من الرقبة كمصدق اجتماعي بارز لدين التوحيد، ويعدّ عبد الرحمن بن هوف الذي كان يمتلك ألف غلام وجارية مصداقاً غيبياً لهذا الدين الحنيف؟ وهل يصح، له ان يتخذ سلسلة الخلفاء والسلاطين الذين وثروا الجاهلية وقلدوا الأكاسرة والقيصرية ويصنّ النظر عن سلسلة الشهداء من انباء النهضة الاسلامية الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه وقضوا نعيمهم في سبيل اعلان كلمة الله في الارض؟ وهل هنالك مفكر لا يعلم اليوم ان جميع الاديان الكبيرة كانت في بادئ الامر تمرداً وعصياناً على القوى الحاكمة وتورث لانتقاد الناس من السلطة والعبودية؟ غير ان النظام الطائفي الحاكم يسمح لفضائه دائماً تمارس لحركات الاجتماعية ويستعدها من أجل تحكم وجوده وتثبيت سلطانه... ألم تصبح «الاختراكة الديمقراطية» في أوروبا كبر مدفع ومحافظ على النظام الرأسمالي وأقوى مانع لحصول الثورة

المالية المارمة رغم أنَّ الاشتراكية والديمقراطية كانتا تمرّتي أركسي الدماء واعز الشهداء وأرقى الرسالات الفكرية التحررية البشرية؟

فلو لم يكن البابا وماركس لأثمرت النهضة المارمة المعارضة للنظام الطيفي الرأسمالي الاستعماري التي تطالب بإنقاذ الإنسان وتحريره من عبود المادية المبياء والبرجوازية البسطة وتمكسه من تكوين فطرته الانسانية المحقة وعرض قيمه الوجودية وإبراز صورة الاستعدادية بواسطة تحريره من قيود المجتمع والسمالة وتدوين فلسفة تاريخه لا على أساس نفي الدين بل على أساس ربط هذه النهضة الانسانية المارمة بنهضة الأنبياء الذين بعثوا من بين صغوف الناس وحطّموا بقووس التوحيد آلهة الشرط والأصنام التي كانت رموزاً للفرقة العرقية والقومية والطبقية والفيلية، ودعوا الناس إلى الإصلاح والحرية والمعدل والمساواة والقوى ورحم الظلم والجور والجهل والخرافة والسحر والتلق بالدينا. وفي هذه السالة ستتصير الحقيقة وستركز الاشتراكية على الإرادة والهدف المقدس الذي يسعى إلى عمق الفطرة الانسانية التي سمي الإنسان إلى تحقيقها طوال التاريخ بدلاً من ارتكارها على ألوية الغرائل المادية الديالكتيكية المصياء التي تعمل بشكل جبري ولا تتدخل فيها إرادة الإنسان قط، وستكون الطاقة الدينية الهائلة في أنحاء العالم وخصوصاً في العالم الثالث سنداً معنوياً وروحياً وفكرياً لهذه النهضة بدلاً من أن تكون سداً ومائناً كبيراً تستعده

#### أيادي الاستثمار والرأسمالية

فعلينا نحن المفكرين في هذا العصر وخصوصاً المفكرين في العالم الثالث وبالذات عالمنا الاسلامي ان نخلص أنفسنا من نتائج النزاع الفكري بين البابا وماركس ونربط الروح الصورية والهدف المقدس والنزعة الشمسية المطالبة بالمعادلة والمتاحضة للاستثمار والرأسمالية برسالة التوحيد التي طالما باهتت الفرك بمختلف أشكاله الفكرية منها أو العرقية والقومية والطبقية، لتصل إلى الماية الكريمة استبلى وهي المساواة بين الناس في توزيع الثروة، ولكي تدوّن «فلسفة القدر التاريخي» بالشكل المطلوب ولكي نثبت للجميع أنَّ النظام الرأسمالي يجرّء الإنسان ويمسحه ويمثل به وأنَّ الدين أندي يدعو لإنسان إلى التكامل والتعلي بالقيم الاخلاقية المتعالية لا يمكن له أن يبقى في هكذا نظام بل سيدمر مع انصام الماهية الانسانية، فإن لم يمس فما هو يدين بل خرافة وأنَّ الاشتراكية الحقيقة القادرة على صنع مجتمع حادٍ من الطبقات لا يمكن لها أن تتحقق إلا عن طريق الدين، لأنَّ الناس عالم يترّوا تربية اخلاقية ومعوية صحيحة يمكنهم من إثبات حقوقهم من أجل الوصول إلى العدالة الاجتماعية، إذ الحقوق ليست برسمهم صنع مجتمع تسوده العدالة الاجتماعية، إذ الحقوق ليست متساوية أبداً، وأن النظام المادي (Materialism) يؤول إلى النظام الفردي (Individualism) لا محالة والمكس صحيح أيضاً، كما أنَّ الدين

لا يمكن له أن يتحقق قبل أن يتخلص المجتمع من قيود الطمع والاستغلال والاستعمار والفواصل الطبقية فهي هذا المجتمع وحده يستطيع الانسان ان يتخلص من المسيح والاستحالة الى «تسي» في نظام الفاكهة والرأسمال والذوبان في نظام المال والاستهلاك والتحويل الى مريسة او حيوان مفترس في نظام العلاقات الطبيعية، وفي هذا المجتمع فقط يستطيع الانسان أن يعرف نفسه ويتكلم على أصالة وجوده ويكون فطرة بوجهه ويستعرض قيمه الانسانية المتمايله فتتكاثر داته وتعلق بأخلاق الله ويصبح حلمته في الأرض وهذه هي دعوة الذين التي لا تتحقق إلا في مجتمع غير طبعي يركز على أساس «الكتاب والميزان والعديد» لا على أساس الجهل والتمييز والضعف وهذا هو معنى تحقيق التوحيد في الحياة البشرية

**لدولة للإجابة على**

**الاسئلة والاختقادات**



من : ان أغلب النصوص التي استندتم اليها في كتاب «معرفة الاسلام»<sup>(١)</sup> في خصوص نقل وقائع تاريخ الاسلام هي من مصادر أهل السنة . مع الأخذ بنظر الاعتبار ان تلك الوقائع لها تأثير اساسي في اصول عقائد الشيعة وان احتمال التحريف والتفسير في المصادر التاريخية لأهل السنة قوي جداً، لماذا لم تستندوا الى المصادر الشيعة في موارد الاختلاف أو تشيروا اليها في اتهامهم على الأقل ؟ هل هناك دليل مقنع على اختيار هذه المنهجية ؟

ج : نعم هناك أدلة عديدة

١ - لقد قلت في مقدمة مقالة «من الهجرة الى الوفاة»، وهي جزء من كتاب (معرفة الاسلام) وفي كتاب «محمد خاتم الانبياء» أيضاً اني استندت في كتابة السيرة النبوية الشريفة غالباً على نصوص الاخوة أهل السنة وأتوقع من الاخوة أهل السنة أيضاً ان يستندوا على نصوص اخوتهم الشيعة في هذه المجالات (وخصوصاً في المجالات التي يوليها الشيعة اهتماماً خاصاً) فإنه بهذه الطريقة فقط يمكن التقريب بين هذين

الأخوين اللذين تباعدوا عبر القرون.

٢- حاولت استخراج «ما يهتَمُّ به الشيعة» من مصادر أهل السنة، لأنه لا يمكن العطف في أصالة العقائد المذهبية التي جاءت على لسان المذهب المعالف، وهذا ما دعاني لأرسم وجه الاسلام في كتاب «معرفة الاسلام» بخطوط شيعية اخذتها من علماء السنة وأنها لمعري علامة بيّنة لأولي الأكياب تدل على حقانية الشيعة واصالة مذهبهم. وقد عمل بهذه الطريقة الكثير من علماء النخبة العظام من قبيل السلامة الأحميني في كتابه «المدير» والسيد شرف الدين في كتاب «المراجعات» وغيرهم من العلماء الأفاضل<sup>(١)</sup> وهذا هو سبب القيمة الصالحة لتجانسهم، وهذه هي الطريقة الوحيدة لخدمة التشيع وإثبات أصالة هذا المذهب لأهل السنة ولكل من يرى التشيع مذهباً متأخراً أو يعتقد أنه من صمم الصمم والاربابين إلا أن هذا الأمر تحول إلى «اتهام» بالنسبة لي فقط! لأنه انتشر بين الرعاع والمخادعين ومن ورائهم أولئك الذي يرتزقون على الجهل والفرقة واستحالة الناس الذين يسمون انخدمه خيانة والخيانة خدمة، ببساطة

٣- طبقاً للطريقة العلمية المتداولة هي كتابة التاريخ، يجب

(١) حتى أن آية الله محمد الصدر نقل جميع الروايات المتعلقة بالامام المهدي (ع) في كتابه «موسوعة المهدي» عن النصوص والمصادر السنية ولم يستند على كتب الشيعة ونصوصهم هنا

الاستناد على أقدم النصوص، أي أقربها إلى زمن الواقعة من الشاحبة التاريخية. إن هذه الصاطعة وإن كانت غير دقيقة مئة بالمئة إلا أنها تصدّ ملاكاً جيداً في تقسيم النصوص التاريخية، وبما أن نصوص الشيعة في «التاريخ والسيرة» هي نصوص متأخرة من الناحية التاريخية (بسبب الوضع السياسي المتأزّم الذي عاشه الشيعة عبر التاريخ) أمراً اعتباراً نصوص أهل السنة كونها أقدم تاريخياً من نصوص الشيعة

٤- إن اتهام جميع المؤرخين والمفكرين المسلمين الذي لا ينتمون إلى المذهب الشيعي أو لا تطبق جميع عقائدهم مع هذا المذهب بتهمة المحافظة لأهل البيت هو أمر بعيد عن الإنصاف والدقة

إلا أن تلقين المدوّ الآجنتي الذي لا ينتمي إلى أي من المذهبيين لا السني ولا الشيعي جعل أغلب الناس في بلدنا يعملون بهذا التصور العاطفي. عيباً أن يعلم أن معاقبة الفترة الشريفة هم النواصب (كانوا أقلية صغيرة ولم يبق منهم إلا النذر اليسير) وهناك بعض المصححين وعدد يسير من أهل السنة ممن تأثروا بتلقين النواصب أو كانوا عملاء للأجانب والأعداء.

لقد حاول المدوّ طوال السنين الماضية أن يلقّن الشيعة بأن جميع الأخوة أهل السنة هم من النواصب كما حاول أن تلقن السنة بأن الشيعة هم من الملائكة القائلين بالوهمية علي (ع) الفرقة التي يعتقد الشيعة انفسهم بطلانها وشركها!

فإن قلنا إن جميع المؤلفين المسلمين وجميع الكتب الإسلامية المعتبرة هي كتب تعاليف أهل البيت (ع) ورفضنا أن نصائل علي (ع) وحرمة الأئمة الأطهار (عليهم السلام) لم يترف بها المؤلف الأقلية الشيعية وكتابتها، وإن جميع المذاهب الإسلامية والعلماء والمؤرخين والمحدثين المسلمين من غير الشيعة هم من المعاكفين للإمام علي (ع) وأبنائه اليمامين، فإننا نكون قد أصدرنا حكماً ظالماً لا أساس له من الصحة، وقد يكون باحماً عن عدم اطلاصنا أو قللة إنصافنا وشدة عصبيتنا، ومثل هذا الحكم ليس لصالح العقائد الشيعية وعلى خلاف لحقائق الوثائق المتفق عليها والتي تشكل المبادئ الأساسية لهذا المذهب الحق. لأن كل من تمسك على قراءة الكتب التاريخية وكتب الحديث الإسلامية الشهيرة يعلم أن جميع أصول العقائد الشيعية الهامة قد أوردت بدون استثناء في المصادر الرئيسية لأهل السنة وفي كتب الحديث والسيرة والتاريخ والمنسوبة بغير الشيعة وعندما نرى أن جميع عقائد الشيعة موجودة في مصادر وكتب أهل السنة القديمة، ليس من التضعيف للشيعة ولمبادتهم أن نهم جميع تلك الكتب والمصادر الإسلامية وبشكلها في مصداقها جميعاً، رصماً بأن عصائل عدي (ع) والعترة الشريفة لم تذكر إلا في كتب الأقلية الشيعية ولم يُذكر اليها في أي من المذاهب والكتب الأخرى سواء العلمية منها أو التاريخية والروائية والكلامية والتفسيرية وإن أُشير اليها لقد رُجِّح فيها مثلاً

أبو بكر وعمر وعثمان على علي ورجحت هاشمية على فاطمة ورجَّح الخلفاء على الأئمة!

إن هذا الادعاء ليس صحيحاً لأننا لا نجد فضيلة علي وأهل البيت (ع) إلا وقد وردت في هذه الكتب، وقد أشارت أكثر هذه الكتب إلى أفضلية علي وأهل البيت (ع) على مطلق الخلفاء والصحابة فيما وجهه الكثير منها الذع الانتقادات إلى الخلفاء وتقل الكثير منها غيرهم وأُشِر على نقاط ضعفهم، وقد شمل هذا النقد كل الخلفاء حتى الشيعين وخصوصاً عثمان بن عفان

٥- لقد انتقد بعض السادة ومنهم السيد الأنصاري العتيبي أو (الآركي) الذي كان يحاضر في جامع البازين في أيام محرم في السنة الماضية، طريقتي في التحقيق والتي استندت بها على الكتب التاريخية لأهل السنة وكان هذا النقد النقد المستطفي الوحيد الذي تعرضت له في المعين، إذ لم يراع أحد غير هذا الرجل المنطق والأدب في النقد.

نقد عرس السيد الأنصاري في انتقاداته نقاط ضعف الكتب التي استندت اليها (حتى تلك التي ليس لها أي ارتباط بتحقيقاتي ككتاب صحيح البخاري...) وأثبت أن هذه الكتب تحتوي على احاديث ومضامين تاريخية ضعيفة (وحسب مريضة) ممباً بذلك الطريقة الرائعة التي اتخذها العلامة الأميني في «المدير» ثم قال مستأنلاً: هل من

الصحيح أن نجعل هذه الكتب مصادر لتحقيق؟

إن هذا الرأي هو رأي صحيح بنسبة خمسين بالمئة، والصحيح فيه هو وجود المضامين الفاسدة والأحداث الضعيفة أو المرتبكة في تلك المصادر، إلا أن النتيجة التي خرج بها السيد الأنصاري تبدو غير صحيحة من وجهة نظري لأن اختيار المحقق لبعض الكتب كمصادر في تحقيقه لا يعني بحال أنه يؤيد كل ما في تلك الكتب بدون استثناء بل أنه يؤيد الشيء الذي نقله من ذلك المصدر لا أكثر ولا أقل. ولو كن استنتاج السيد الأنصاري صحيحاً لما استطاع أي كاتب أو محقق (في أي مجال) أن يجد كتاباً يستند إليه ويستند مصدره في تحقيقه لأننا لا نعرف كتاباً يتصف بانحصار من ناحية المسد أو الدلالة سوى كتب الوحي التي لم يسلم منها من التحريف إلا القرآن الكريم. وعندما يكون الحديث عن التاريخ يزدد الظن بل أننا لا نعرف كتاباً تاريخياً يمكن تصديقه جميع مصادره بدون استثناء.

ولكن عندما يصل الأمر إلى تصحيح الخطأ المطبوع دليلاً لا يشتر ويلقن عوام الناس أنه إذا لم تكن شعاع من أمثالي خطأ في أحد كتبه أو محاضراته فإن كتابه بل جميع كتبه وحتى وجوده سيكون جرمه وكفراً كما صرح أحدهم بقوله إن شاباً مسلماً مؤمناً أراد أن يذهب ويخلص الناس من وجوده - أي وجودي أنا - بطلنة صغرى، بينما نرى في منطق الدين العلمي أنه إذا أخطأ المحقق في رأيه - حتى لو كان

مجتهداً وفتحاً ومرجعاً لتقليد كل الناس وبسبب خطأ مطبعي الملايين من الناس - فإن له اجراً في عمله - «للمصيب أجران وللمخطيء أجر واحد».

٦ - لقد ذكرت في مقدمة كتاب «معركة الاسلام» اني اردت ان ارى النبي (ص) في المدينة المنورة من اقرب فاصل زماني لاكتتب سيرته بطريقة كآتي كتبها قبل ألف سنة (معركة الاسلام ص ١٥٦) هل يوجد مصدر بهذا القدم والاعتبار سوى سيرة ابن هشام وتاريخ الطبري؟

٧ - لقد ذكرت في تلك المقدمة: «اني تعرضت عن وهي في الاستناد على المصادر القديمة التي يرجع تاريخ بعضها الى أكثر من ألف سنة لأنني اعلم ان أقدم مصادرها التاريخية دؤبت في زمن الحكم الأموي والعباسي وأن الحلفاء والسلاطين في هاتين الحكومتين كانت لهم اليد الطولى في تحريف الحقيقة والحلم والدين لصالح حكمهم مستخدمين بذلك سياسة الترغيب والترهيب تارة، والعطف الماكرة أخرى كما كتبت عمي حذر أيضاً من أن السياسة التي تركز على النظام القبلي وتجعل الدين آلة لها هي اسوء آفة نصيب «الدين والتاريخ» ولذلك سميت قدر الامكان الى ان اصون نفسي من الألاعيب السياسية الاموية السياسية التي أزعجت كبار مؤرخينا تارة وجعلت منهم عملاء لها أخرى

٨- لقد استندت في كتابة السيرة النبوية الى سيرة ابن هشام وتاريخ الطبري، وقد ظن البعض ان هذين الكتابين كانا المصدر الوحيد في كتابة كل السيرة النبوية، ولا عجب في ذلك لانهم قد لا يعرفون شيئاً عن فن كتابة التاريخ فان هذا المنهج هي كتابة التاريخ بمزول الى موضوع محدد تختلف فيه الآراء وهو نفس المنهج الذي يستخدم في تصحيح الكتب ذات النسخ المتعددة والمشتقة لكي يستشمل احتمال الوقوع في الخطأ الى مستوى معقول.<sup>(١)</sup>

ومن المثير للدهشة هو ان نص السيرة النبوية التي دوتها في ثلاثة فصول «من هو محمد آ»، «تحليل شخصية محمد» و«سلامة محمد» تختلف تماماً من ناحية الروح والرؤية والحكم والتحليل عن سيرة ابن هشام وتاريخ الطبري، وأما من ناحية الأخبار ونقل الحوادث المادية او الحوادث المتفق عليها في حياة النبي (ص) (من قبيل شرح

(١) كما يستند الفقهاء في المذهب الشيعي الى الكتب الاربعة: «الكافي»، «التهذيب»، «الاستبصار» و«اس لا يحضره الفقيه» في الوصول الى الحكم الشرعي، غير ان هذا لا يعني انهم يتفقون مضامين هذه الكتب او يتجهونها او يتقنون الفتاوى بل انهم يجهلون في الوصول الى الفتوى ويرفضون بعض المضامين المنقولة في هذه المصادر بل يكرونها بشدة من قبيل القول بتحرير القرآن الذي ورد في كتاب «الكافي»، المقصود بتحرير القرآن هو حذف بعض الايات القرآنية من القرآن الكريم حيث نقل كتاب «الكافي» وبعض الكتب الأخرى روايات في هذا المجال، ولم يزعم أحد إضافة شيء الى القرآن.

الحروب وتوقيع الاتفاقيات والحوادث والاصحاح الصالحة... عليس هناك خلاف بين المذهبين الشيعي والشيخي وان كان ثمة خلاف فهو نادر ولا يرتبط بالمذهب الشيعي أو الشنّي، وأما بالنسبة لموارد الاختلاف التي هي محل اهتمام الشنّة والشنّة والتي ترتبط بشكل مباشر أو غير مباشر بقضايا خاصة تتعلق بالمذهبين فقد اجتزب فيها حدود هذين الكتابين بل جميع كتب أهل الشنّة ولم أبحت هي الكتب السارحية الشيعية فحسب بل بحثت في كتب التفسير والحديث ونصوص كتاب نهج البلاغة وحاولت العثور على الحقائق التاريخية كما هي. ولو أتى الفاري المطلق نظرة هابرة على كتاب «معرفة الاسلام» ورأى مصامين من قبيل «عني هي حركة احمد (ص ١٨٣)، عليّ هي حنين (ص ٣١٨)، فصب عليّ (ص ٣٦٠)، مهمة عليّ الخاصة في ابلاغ البراءة (ص ٣٨٠)، قدوم عليّ من اليمن واستنائه (ص ٤١٩)، مصير الائمة بعد النبي (ص ٤٢٣)، الإمامة وعليّ (ص ٤٢٧)، عصبة أبي بكر في وجه عليّ (ص ٤٣١)، عذير غم ونزول آية تكميل الدين بعد خطبة القدير (ص ٤٣٢)، المعاطلة في ارسال جيش اسامة (ص ٤٣٣)، احضار عليّ للصلاة (ص ٤٤١)، طلب القلم والدواة للوصية (ص ٤٤٣)، التأمر للمحيلة دون تدوين الوصية، بدء النبي الصامت، رأس النبي في حجر عليّ (ص ٤٤٦)، لم يجب أحد سوى عليّ (ص ٤٩٠)، عصبة أبي بكر (ص ٤٩٣)، أبو ذر (ص ٤٩٥)، عليّ وأبو ذر (ص ٥٨١)... لا أدرك مدى

استغلالي عن كتب أهل السنة ويدي مجاهي في استغلال مبادئ الشيعة من لسان وقلم أهل السنة ومصادره الرئيسية، ولأدرك السبب الذي جعلني أكتب أحد فصول الكتاب تحت عنوان «موت النبي» وأشرح أحداث السنة الأخيرة من حياته في هذا الفصل وكيف أنني سميت بشكل مباشر أو غير مباشر إلى عرض ملامح عليّ في وجه النبي (ص) وحاولت أن أعرض حقيقة اهتمام النبي بعليّ وعنايته به في كلامه وعمله وجميع حالاته وتصرفاته وحتى قراراته السياسية والعسكرية، خصوصاً في السنة الأخيرة من عمره، وسيري القاري، أيضاً أن قلبي واسلوبي يتغير عندما يكون الحديث عن علي (ع) وأن كلماتي تكاد أن تطير شوقاً عند وضعه وتوشك أن تلتفت حول نفسها ألماً عند بيان آلامه واحزانه وسوف يرى أن الذين حاولوا إيهام الناس بأن هذا الكتاب يتنافى مع الفكر الشيعي هم يعيدون كل البعد عن الانصاف مهما كان دافعهم وهدفهم.

س: هناك شائكة تقول أنكم لا تؤمنون بخلافة الإمام علي (ع) طبقاً لحديث غدير خم المروي عن النبي (ص) غير أن كتابكم «معرفة الاسلام» يمد هذه الشائكة، الرجاء الافصاح عن رأيكم في هذا السجال بشكل صريح وبدون أي إيهام.

ج: أعود بالله! كتاب «معرفة الاسلام» موجود وقصة المدبر المذكورة فيه بوضوح وقد أثبت في الكتاب عدم كفاءة أي شخص كان

يحتمل أن يلتفت الناس حول بهد وفاة النبي (ص) مشيراً إلى أن علياً (ع) هو الشخص الوحيد الذي يليق به أن يحمرز هذا المنصب وذكرت في الكتاب قصة التدبير بحذافيرها

أن شخصاً مثلي إذا أراد الافصاح عن رأيه وأفكاره هي الله والتدبير والنبي والقرآن والإمام وعلي وعمر وأبي ذر وعبد الرحمن بن عوف والحسين والإمام الموعود والذّجال والدعاء والصبح والامامة والعدل و... فليس أمامه سوى «الحديث» و«الكتابة» ولكن كيف به لو كان الناس في مجتمعه لم يؤدوا أنفسهم على «الاستماع» و«القرءاء»؟! مثلاً أنهم يقولون: انك لم تطرح مسألة الولاية بشكل واضح وصريح ولم تتحدث عن حق علي (ع) بشكل واف عندما تحدثت عن لشورى في فصل «قواعد الاسلام» في كتاب «معرفة الاسلام» وهذا كلام صحيح غير أنني ذكرت في مقدمة الكتاب أنني أخذت هذه «القواعد» من «عريد وجدي» وإنما تشكل مجموعة دروسي الأكاديمية في تاريخ الاسلام في النصف الأول للسنة الدراسية وقد خصّصت النصف الثاني من السنة الدراسية للبحث في الولاية والامامة وموضوع السقيفة. وقد طبع هذا البحث ونشر في الأسواق.

صحيح أنني لم أذكر شيئاً عن الولاية والامامة في هذا الفصل الذي يملكه من هردى وجدي غير أنني كتبت عشرات الصفحات في نفس الكتاب في بحث السيرة النبوية وذكرت عشرات المرات فضيلة

علي وحقة وامامته ومزعت بصعب الخلفاء وعصية أبي بكر وضرورة العمل بوصية النبي (ص) ونقلت قصة المدير بتفصيل واستكرت مبدأ البيعة والشورى والنظام الديمقراطي في الحكم. ثم اتي كتيب بعد كتاب «معرفة الاسلام» أكثر من ألف صفحة عن امامة أهل البيت وعقائد الشيعة وتاريخهم وقد طبعت هذه الكتب أكثر من مرة وبأعداد صغيرة جداً، كما سجلت لي محاضرات عديدة في هذا الموضوع قد يتجاوز عدد ساعاتها عن الخمسين ساعة ووزعت آلاف الاشرطة المسجلة في انحاء هذا البلد بحيث يعرف كل اطفال المدارس سمعاً ألقى السمع وهو شهيد ولم يكن له اي غرض او مرض - شيئاً عن آرائي وافكارى في المذهب الشيعي كما أقيمت في السنوات الست الماضية في حسنة الارشاد أكثر من مئتي محاضرة حول الشيعة والولاية واهل البيت (ع) وقد سجلت كل هذه المحاضرات ووزعت في الاسواق ويمكن الحصول عليها أو تسجيلها بكل سهولة. كما كانت جميع الفعاليات المسرحية التي اجراها الطلبة الفنانون في الارشاد بدون استثناء تختص بالمذهب الشيعي من قبيل أبي ذر الفارسي، الحسين وارث آدم، ثورة المهدومين الشيعة (سرداران)، ثورة التوابين و..

وأما في موضوع مسألة الولاية فان الكتاب الوحيد الذي كتب بدمية علمية وبأسلوب سلس وارتكزت مضامينه على اساس الدراسات التاريخية والقرآن والسنة النبوية الشريفة، (لا على اساس التهريج

والسب والشتم والافتراء والاستناد الى امور تتنافى مع روح الاسلام والتشجيع والمقل السليم وتسبب الاساءة للشيعة وهتك حرمتهم) هو كتاب (الخلافة والولاية من وجهة نظر القرآن والسنة) والذي نشره حسينية الارشاد حيث يصم هذا الكتاب بين دفتيه موجراً ملخصاً للدراسات العميقة التي قام بها الاستاذ محمد تقي شريعتي والتي تشمل على أقوى الدفاعات العلمية عند الشيعة وأكثرها متطقاً، فقد رد الاستاذ في هذا الكتاب جميع الاتهامات والشبهات التي طرحها المخالفون خلال القرون الاربعة عشر الماضية مراعيّاً بذلك الانصاف العلمي وأدب الجدل ومستنداً الى القاعدين الرئيسيين اللذين سقوا عليها جميع المذاهب الاسلامية وقد اثبت الاستاذ للأهوية السكّة ولمفكرنا الشيعة ممن تأثر منهم بأبواق المدوّ وعلامه أو حمل افكاراً سلبية ادّاء عياديء التشجيع العلوي بسبب الانحرف والتخلف الاجتماعي والفكري والاعلامي الذي يعاني منه بعض دعاة الدفاع عن هذا المذهب انب لهم ان المذهب الشيعي هو الروح الحقيقية والمنهج القويم للاسلام وان المثقف الحر الذي جعل من القرآن والسنة قدوة له وتعرف على روح الاسلام والعدالة في التاريخ واستطاع ان يحلّس نفسه من شتى القنود سواماً خلافة بني امية وبني عباس أو الحكومات التي ورنيتها أو المخطط والمؤامرات الاستعمارية التي زرعت بذور الفتنة والتفرقة بين المسلمين، سيأخذ طريقه شاء أم أبى الى مياب قاطعة

وسيسمى الاسلام من لسان علي تاركاً وراءه قصور الظلم في دمشق وبعداد ومساجد القنار والمصاحف المرفوعة على الزمناج

إلا أن هذه الجماعة المبجلة يداه التحجر والاملاق لا تزال تهال علينا بأنواع التهم والافتراء وتمكر الاجراء خدمة للاعداء رغم كل الجهود العظيمة التي بذلت في هذه المدة القصيرة ورغم ان هذه التهمة الاسلامية التقدمية المرتكزة على رؤية شيعية علوية تحريرية قد لاقت اقبال المفكرين وأصحاب القلم وخصوصاً الشباب المستقب والطلبة العامسين داخل القطر وخارجه، ورغم جميع الأدلة والقرائن والمحاضرات والأعمال المسرحية والاجتماعات وملتقيات البحث والتقد والندروس والمعالم الواضحة والنجاحات الباهرة التي أذعن لها لمدون والصديق.

اذن ليس بوسعنا إلا ان نتحدث ونكتب ونرث على اشاعات الأعداء والمعرضين والثائنين والانتهازيين ودولك الدين يستحقون أنفسهم «مؤمنين» غير أنهم لا يجيدون ما يعمهم من الطعن والتسكيل ممن وقفوا حياتهم في سبيل «الايان» بل حتى تكثيرهم قبل قراءة ما كتبوا أو الاستماع إلى أحاديثهم مكتفين بالاستناد إلى المعلومات والاخبار والتهم المصادرة عن مصدر مشكوك ومجهول وموهوم اسمه «قالوا»!

أريد أن أقول لهؤلاء الاخوة، اخوتي، نحن جميعاً ضحايا

لؤامرة واحدة فتحن وإياكم يجتمعنا إيمان واحد وألم واحد وطريق واحد، فكلنا مسلمون وكلنا نؤمن بكل وجودنا وأخلاصنا بالعترة الشريفة وكل هذه الاتصاعات هي من أجل ان لا تصرف على بعضنا وأن لا نقف وقفة واحدة في وجه عدونا المشترك.

ولهذا نرى ان تدوين الآلاف من الصفحات والتحدث مئات الساعات في اثبات التشيع والامامة والوصاية لا يعني شيئاً وأن كل ما كتبه وتحدثت به في موضوع العترة الشريفة والاخلاص لها وجميع آرائي العلمية والعائدية والتاريخية الجديدة في موضوع عظيمة علي (ع) واصالة مدرسته لا تدل بمكان علي انتمائي للمذهب الشيعي! حسب ما تراه هذه الجماعة التي تحكم على الناس بدون مطالعة كتبهم والتدقيق في امورهم بل تستند في حكمها على اخبار وكالة (قالوا)!

اذن علي أن افلح استاذي العيبب أبا ذر الطماري الذي أخذت منه اسلامي وتشيعي ودهدي وألمي ومحتني وشماري وأشاركه في صرخته التي هزت المدينة والشام وهي تطرعه الذي لم يراع فيه «المصالح»! فلم يجلس أبو ذر جلوس أهل العلم والتعميق والتقد ليطلع «الحقائق» في ليل من الميانات الصامصة وأمام العلماء والخواص فقط رعاية للمصالح بل نراه يحمل عظماً يجده في الزقاق ويذهب إلى خليفة رسول الله ويصرخ بوجهه:

«يا عثمان أئله انت السب في فقر الفقراء وغنى الاغنياء»



ويصرخ في وجه كعب الاحبار صاحب الجلالة والاحترام والرجل العالم بالدين عند اليهود والاسلام والذي كان مرتجعاً للصحابة في تفسير القرآن وبهم الاسلام: «يا ابن اليهودي أتريد ان تعلمنا ديناً؟» ثم يضره بظلم البعير - سلاحه الوحيد - ويشرح به رأسه لينثى الى الشام حيث معاوية وقصره الأخضر ليصرخ بوجهه هو الآخر: يا معاوية ان كان هذا القصر من مالك فهو اسراف وان كان من مال الناس فهو خيانة! ويذهب الى المسجد ليقرا آية ﴿والذين يكتزون﴾ ويروي الأحاديث التي لم تكن المصالح تقتضي روايتها ويصر على قراءة هذه الآية ورواية تلك الأحاديث ليثير غضب كبار الصحابة واصحاب المراكز القوة في السلطة من المهاجرين والانصار ممن اشتركوا في غزوات الرسول وكانت لهم سابقة طويلة في الاسلام. اتهموه بالكفر والعصيان والتباعد عن قوانين الشرع والخروج من الاسلام والسمي الى بيت التفرقة بين المؤمنين وروح بذور الاختلاف بين المسلمين، بقي وحيداً بعد ان غاء حلقة الاسلام من المدينة وواليه من الشام وسفقه اصحاب المصالح من الشخصيات الاسلامية بالأسنة حديد وانهموه بالارتداد عن الدين والكفر بالله ورسوله والقرآن والمعاد!

قبل سبعة عشر عاماً وعندما كنت أكتب قصة أبي ذر ووصلت الى الوقت الذي نفي فيه من الشام الى المدينة، كنت استغرب من كلامه عند ما خاطب الناس ممن جاء منهم لتوديعه قائلاً: ايها الناس اني اشهد ان

لا اله الا الله واشهد ان محمداً عبده ورسوله!

ولكنني أعلم الآن لماذا عمل ذلك لأن أهل الشام كانوا جميعاً ضحايا لإعلام معاوية المضلل وكانوا قد أخذوا اسلامهم من اجنزة الدعاية والتي كانت تبليغ للاسلام والشخصيات والحوادث الاسلامية بالشكل الذي تقتضيه مصلحة معاوية ونظامه وطبقته، وهذا هو السبب الذي جعل الناس يتساملون بدهشة بعدما أخبروا بمقتل علي في المسجد، فماذا كان يعمل علي في المسجد؟ أكان يصلي؟ ثم اننا نعلم أيضاً ان الامام السجاد وحته ربيب (ع) عندما دخل مدينة دمشق وهم يسرون امام القاطلة لم يكن الناس يعرهم بل كانوا يشتحبهم للحصول على الثواب لأنهم كانوا يظنون انهم من الصوارج الدير يريدون زرع بذور الفتنة ان اسلام أبي ذر وقرأته كانا يهددان النظام الأموي من جهة، ويمرضان لحطط مصالح الخطباء والمفتين والفقهاء والصحابة وائمة الجمع والجماعات ممن كانوا ينتمون لهذا النظام من جهة أخرى، وهذا هو السبب الذي جعلهم يتهمونه بالكفر والارتداد لأنها اسهل طريقة للتخلص منه كما ان افضل تهمة في المجمع الشيعي هي ان يتهموا الشخص بأنه ليس شيعياً بل هو من السنة والوهابيين!

وهذا هو السبب الذي جعل أبا ذر يضطر الى اعلان شهادته بعد خمس وأربعين سنة من القتال والجهاد في ركاب الرسول والخدمة

والتعليم في سبيل الاسلام، والأعجب من ذلك هو ما كتبه الامام الحسين (ع) في وصيته التي أعطها الى أخيه محمد بن الحنفية عند مراكه المديد فكانت هذه الوصية بتدريء بهذه العبارة: «أَنَّ الْحُسَيْنَ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ...» فاعتبروا يا أولي الأبصار

ولذا أرى من الضروري ان أعلن بصراحة عن تشييعي وعن اصول عقائدي التي كنت عليها طوال عمري وقدمت في سبيلها شياي وعشرين سنة من دراساتي وكتابتي وكلامي وعملي وان أقول: «أني المدعو علي شريعتي المتهم بجميع الاتهامات التي يقدر اللسان أن يطق بها، اعتقد اعتقاداً كاملاً بـ:

١- وحدانية الله

٢- حقانية جميع الانبياء من آدم (ع) حتى محمد (ص)

٣- رسالة النبي محمد (ص) وحانية نبوته

٤- ولاية الامام علي (ع) وامامته ووصايته

٥- المعزة الطاهرة بصفها باب المصم الوحيد للوصول الى القرآن والسنة

٦- ان أعلن النبي (ص) عن امامة علي (ع) ووصايته لم تتم في خدير خم فحسب، بل في واحد وعشرين مكاناً آخر استخرجتها ودُرستها جميعاً

٧- ان الشورى (البيعة والاجماع والديمقراطية) هو مبدأ اسلامي

لا أنه لا يعمل به إلا في حالة عدم وجود المبدأ الأهم وهو الوصاية المستندة الى كلام الوحي، وان التمسك بهذا المبدأ في شوري السقيقة هو تصنف باستعمال مبدأ من اجل سحق مبدأ آخر ذي أهمية أكبر وهو وصية النبي (ص) وحق علي (ع)

٨- ان النبي (ص) كانت له رسالتان: احدهما ابلاغ الوحي (اليوم)، والثانية: شام الامة (الامامة). وقد ختمت رسالته الأولى في زمن حياته (ص) إلا أن رسالته الثانية كان عليها ان تستمر لعدة اجيال متوالة (ثلاثة قرون) تحت قيادته هو وأوصيائه الاثني عشر. يسمارة أخرى ان النبي (ص) كان خانماً لرسالة «سوته» وأن الائمة (ع) كانوا خاتميين لرسالته «امامته»

٩- لم يحر التاريخ حسب ارادة النبي (ص) وسبوه بل اخذ مسروق بعد السقفة بالتدريج فاشعب الاسلام الى شعبتين رئيسيتين النفس وهو الاسلام الذي سترته الطبقة الحاكمة وترعرع على يد الحكام والائمة التابعين لهم، والتشيع وهو الاسلام الذي أخذ مجراه بين الأوساط المعروفة والناس المظلومين الناشدين للعدالة. فأصبح الأول اسلام الخلافة والتمييز والاستبداد والاستغلال، وظل الثاني اسلام الامامة والعدالة والحرية والمساواة.

١٠- ان الخلافة هي التي انتصرت في التاريخ، ولم تنعقد الامامة على الصعيد الاجتماعي فحصلت المصنة

١١ - إن عصر النبوة (ابتداءً من غيبة الإمام الثاني عشر حتى ظهوره في آخر الزمان) هو عصر مسؤولية الناس في القيادة الاجتماعية وهو العصر الذي يعتار الناس فيه قائداً لهم تحت عنوان «نائب الإمام».

١٢ - إن مبدأ «انتظار الفرج بعد الغيبة» هو الإيمان بدين الاعتراض والإيمان بـ «الفلسفة الجبرية للعاريف» وروال النظام الاجتماعي الظالم والتمييز الطبقي الجائر زوالاً نهائياً. فعسى الانتظار هو أن قائم آل محمد (عج) ينتظر ثورة الناس على الظلم المهيمن على العالم وإن الإمام الموهود المنتظر السليح القائم الصمصام المنتقم الذي سيملا الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً هو الذي ينتظر في الحقيقة نور تناء.

١٣ - إن القول بأن أصول المذهب الشيعي هما «الإمامة» و«العدل» وإن التوحيد والثبوت والمعاد هي أصول الدين الإسلامي، قول غير صحيح لأنه يستلزم اتهام الشيعة بأن مذهبهم هو الإسلام ومعه شيء آخر، بل اعتقد أن التوحيد والنبوة والنماذ هي الأصول الثلاثة للدين بمعناه الأعم لأن الدين الذي يعتقد أحد هذه الأصول ليس ديناً وإن للإسلام أصولاً أخرى وهي «الإمامة» و«العدل» وإن التشيع لا يعني شيئاً سوى الإسلام أي القرآن والسنة وإن هذه المعادلة هي المعادلة الصحيحة:

التشيع العلوي = التسنن المحمدي = الإسلام - (المخالفة السياسية + أنواع التمييز العرقي والقومي والطبقي).

١٤ - كما يؤمن بالتقليد (بمعنى تقليد الناس للفقهاء المتخصصين في الفروع العلمية والأحكام الشرعية أو التقليد الفني والتخصصي والعلمي لا التقليد العقلي والفكري ولا التقليد في أصول الدين).

١٥ - كما يؤمن بالتقية لا بسبب الخوف، بل حفاظاً للإيمان ولا تشبهاً بالبطالين الذين لا يشعرون بأي مسؤولية بل تشبهاً بالمؤمنين الذين يجاهدون سراً من أجل انتصار الحق والعدل والإمامة (مبدأ الكتمان في النضال) وأؤمن أيضاً بتقية الشيعة في المجتمع الإسلامي الكبير تجاه المسلمين من أهل السنة كما للتطرف المذهبي والسرعات الطائفية وسبباً إلى توثيق أواصر الرود والمحبة وتحقيق الوحدة بين المسلمين ضد عدوهم المشترك.

١٦ - وأؤمن بالاجتهاد بمعنى الجهد العلمي النحرى اندي يبدله المتخصصون الراعون في البحث الدائم عن المعانيق الإسلامية والتكامل في فهم الإسلام والاجابة على المسائل المستجدة والمطالب الاجتماعية الملحة والمشاكل التي يواجهها الناس في كل عصر ومصر.

١٧ - وأؤمن بالمرجعية العلمية ونياية الإمام لتصدّي القيادة الفكرية والاجتماعية وتميئة الطاقات وتوظيف القوى والامكانيات من

أجل نصر الدين والاحتفاء بحياته الناس وتأسيس ثقافتهم الدينية والتاريخية

١٨ - كما يؤمن بدفع الزكاة وسهم الامام لتأمين الميزانية الاقتصادية من اجل ادارة المؤسسات العلمية والاجتماعية وتنفيذ البرامج والأهداف العلمية للمجتمع الشيعي (لا مجتمع الشيعة).

١٩ - واؤمن بإقامة مراسيم المراء في شهر محرم وعاشوراء واحياء ذكر الائمة (ع) وتأسيس الصوف والمجالس الدينية وحتى اليكاه بمعاد الصحيح، وهو توعية الناس وتصف المجمع واحياء رسالة الشهداء لا بمعنى كونه عادة وراثية سنوية، لأنّ الشهيد حيّ يرزق ولا يحتاج لمن يركبه، بل يحتاج الى من يسير على دربه، فالشيعي هو السائر على درب عليّ والحسين وريث العترة الشريفة، والشيع هو عمل حقيقي، فهو لا يعني المبردية التي تساهي مع التوحيد ولا يعني أيضاً الحب لأنه أمر عاطفي يعتمد على المعرفة والعمل

٢٠ - كما يؤمن بشفاعة النبي والائمة الأطهار (ع) واؤمن حتى بتراب شهيد الحرية العظيم الامام الحسين (ع) كمعامل مهمة في سبل «الأهلية اللازمة للنجاة»، لأنه لا ينال الشفاعة في يوم القيامة، لا من كان أهلاً لها<sup>(١)</sup>

٢١ - واؤمن بالدعاء لا بوصفه وسيلة للتخدير وبديلاً للعمل

(١) راجع الآية (٢٣) من سورة الرعد والآية (٨) من سورة غافر

والمسؤولية وطريقاً للنجاة الفردية أو طريقاً فردياً للسجادة بل عكس ذلك أي برحمه عاملاً قوياً في تنمية القيم الانسانية المتتالية وطرح المطالبات الرقيقة وتلطيف الأرواح من الصدأ والأوجس. وتري الدعاء في أكمل أشكاله في مدرسة الامام (السجاد (ع) يستجلى فيه «الحب والافتقار والوحي والتصال».

٢٢ - واخيراً يؤمن بالتشيع العلوي تشيع بالشهادة، الأحمر لا تشيع المراء الأسود

ص: لقد ذكرتم في كتاب «معرفة الاسلام» (طبع مشهد ص ٤٤٥) ان النبي (ص) ابتسم ابتسامة تدلّ على الرضا عندما رأى الناس يصلّون مع أبي بكر وطلب منه ان يوصل امامته بل حتى انه اثنى به وصلّى الى جانبه وهو جالس. هناك سؤالان في هذا المجال، أولاً، طبقاً لما ذكرتموه في هامش الصفحة (٦١٥) والرواية التي رويناها في الصفحة ٤١، كان النبي (ص) قد رشّح علياً (ع) للصلاة بالناس فهل تعتقدون حقاً ان النبي (ص) يسمي حساسية هذه الصلاة ويضيق النظر عن احتمال التصدّف الذي يعم عنها ويسمح لأبي بكر - رغم ارادته - ان يعتني نفسه لخلافة المسلمين وادارة امورهم؟

ثانياً، هل تعتقدون انتم (الفرصنا صحت هذه الرواية) انها دليل على موافقة النبي (ص) على امامة أبي بكر للصلاة أو خلافته في المستقبل؟

ج: هذا هو معنى الميابة التي وردت في كتاب «معرفة الاسلام»:

«في صباح يوم الاثنين... اعانته صحوة الموت على التهوؤ من فراشه... وقع الستار فشاهد الناس يصلون مع أبي بكر... غَمَزَتْهُ الفرحه لأنه شاهد المسجد والناس مرة أخرى وألقى المسلمين وهم يعاقلون على وحدتهم وعظمتهم رغم غيابه عنهم».

كما تلاحظون - ان السب في ابنسامة النبي وفرحته هو اتحاد المسلمين وعظمة صلاتهم ورؤية المسجد والناس بعد مرض طويل ألم به لا صلاة أبي بكر إلا ان اقترال كل هذه الصحة والنهم والسب لدى صير صلاة أبي بكر في هذا الكتاب كمبص عثمان هو قصيدة تاريخية وليس عقائدية

فالمسلمون من أهل السنة يقولون: ان أبا بكر كان اماماً للجماعة في ذلك اليوم بينما ينكر الشيعة هذا الأمر

ان أهمية هذه الصلاة هي بسبب تشبث أهل السنة بها لتقدم للأدلة والبراهين الكافية تيمناً للمثل القائل «العريق يتشبه بشبهه» هم يستندون الى حديث شخص ما (همز او شخص آخر) اذ قال آنذاك:

«صحتار لدينا من احبته النبي لدينا».

هنا يمكننا الاحتجاج مع أهل السنة بطريقتين: الأول هو ان أبا بكر لم يصل بالناس في ذلك اليوم، بل ان النبي (ص) هو الذي وقف

للصلاة بنفسه إلا ان هذا الاحتجاج لا ينتهي إلى أي نتيجة لأن طرفي النزاع سيستند كل منهما الى كنهه وأسايدته الحاضرة ولن يقتنع بما يحتاج به حصصه

أما الطريق الثاني فهو ان نفترض - معاشاة للخصم - ان أبا بكر صلى بالناس فعلاً ثم تساءل أولاً: هل يحق للناس الذين اقتدوا بصلاة أبي بكر ان يختاروا الحليفة؟ وقد اثبتنا بأدلة واضحة ان العسيري الذي كان يعيش قبل أربعة عشر قرناً من الزمن كان يفتقد البلوغ والنضج الكافي لتأسيس حكومة ديمقراطية تتركز على حق الانتخاب والشورى

ثانياً: هل تصح الشورى التي لم يحضر فيها بنو هاشم والكثير من الصحابة الكرام من أمثال سلمان وأبي ذر وعطار والمعداد وسعد بن عباد والكثير من الانصار؟ ولماذا نرى أمير المؤمنين (ع) يستند هذه الشورى في احد أشعاره المشهورة.

وثالثاً: هل كان أبو بكر أهلاً للعلاقة ولم يكن في الأمة الاسلامية من هو اولى منه بها؟ لقد اثبتنا عدم اهلية أبي بكر وجسيم «صحابه (سوى علي (ع)) لهذا الأمر».

وقد صرح الإمام علي (ع) كراراً ومراراً في كتاب نهج البلاغة بأهليته لهذا الأمر وعدم اهلية غيره: «لقد تقمصها فلان وهو يعلم ان محلي منها محل القطب من الزحى»

رابعاً. هل تتساوى الشروط التي يجب أن يحرزها امام الجماعة مع الشروط التي يجب أن يحرزها خليفة المسلمين؟ لا شك أن شروط امامة الصلاة تختلف كثيراً عن شروط زعامة المسلمين وأن هذا الاختلاف هو بدرجه من الوضوح تمنينا عن الحوض فيه. إذن فالمعارفة بين امام الجماعة وامام المسلمين هي - من الأساس - معارفة خاطئة وأن الاستدلال بهذه الطريقة هو دليل واضح على فقدان المحسم للأدلة المضمرة وعجزه عن إقامة الدليل والبرهان.

وفي الحتام أود أن أدكر أن البعض أرادوا أن يثبتوا عدالة أبي بكر استناداً إلى هذه الرواية فنقول في جواب هؤلاء:

أولاً: حتى لو فرضنا أن النبي (ص) أقر بعدالة أبي بكر فإن ذلك لا يدل على أهليته للخلافة لأنه ليس من حق كل عادل أن يكون خليفة. ثانياً: أن الشيعة لا يقرّون بصحة صلاة أبي بكر وإن السنة لا يوجبون العدالة لإمام الجماعة أي أن العدالة ليست شرطاً من شروط إمام الجماعة عند أهل السنة، إذن ما هو الداعي للبحث والجدل مع الاخوة أهل السنة في الاقرار بصلاة أبي بكر وإنكارها.

س: أن أسلوبكم في نقد الشعارات المذهبية الدارجة والدعاة إليها هو أسلوب لاذع، أليس من الأفضل أن تتخذوا طريقة المحققين المعتدلين وتكتفوا بالتحليل والتدقيق وتكتفوا عن النكت اللاذعة التي لا تطابق الحق أحياناً؟

ج: قد اشرتم إلى موضوعين مختلفين في هذا السؤال: الأول هو أن أسلوبي في نقد الشعارات الدارجة والدعاة لها هو أسلوب لاذع، والثاني هو أن نكتي اللاذعة لا تطابق الحق أحياناً.

(والظاهر من كلامكم هو أن نكتي اللاذعة تطابق الحق «غالباً» أو «بشكل عام» أو أحياناً على الأقل).

أما بالنسبة لمثلث الثاني من السؤال أي «النكت اللاذعة التي لا تطابق الحق» فإنها ليست قابلة للدفاع لأن الشخص الذي يقوم بهذا العمل إما أن يكون عالمياً يتقايه بعمل لا يطابق الحق ومما أن يكون جاهلاً بذلك، أي إما أن يكون معرضاً أو جاهلاً وأعود بالله من أن أكون من المعرضين أو الجاهلين والويل كل الويل لي إن لم أمتد الحق من الباطل أو أن تكون حياتي عرضة للأغراض والأمراسي بعد من قصيتها - كما أظن - بالبحث عن الحق والمحققة إلا أنكم لم تشيروا على الأقل إلى نموذج واحد طعنته - بغير حق بتكته لاذعة، لكي أهرق ما هو ذنبي وبماذا علي أن أقرّ وعي أي شيء علي أن أداهق؟ أنه اتهام لم تذكروا فيه مورد التهمة، إذن هل سيكون الحديث عن هذه التهمة باقياً؟

أما الشق الأول من السؤال فهو استفسار عن سبب استخدامي لهذا الأسلوب اللاذع في نقد العادات والتقاليد الباطلة - وهو اعتماد صحيح - علي أن أفسد: ألا يبرر ويطال: هذه العادات والتقاليد أسلوبى الحاد واللاذع في النقد؟

بالطبع انني اعلم ان هذه الطريقة لا تتناسب مع كل زمان ومكان وهناك مجالات علمية كثيرة يجب على الباحث ان يتبع فيها طريقة علمية محضة بعيداً عن الفسحة والتلطف والمواطف.

فلو كنت فيلسوفاً مثلاً وتباحثت مع فيلسوف آخر في موضوع تقدم الوجود على الماهية أو موضوع حدوث العالم وقدمه، ولو كنت صوفياً يدي رأياً جديداً في موضوع النزاع القديم بين المشائين والاشراقيين في تعارض العقل والمشق، ولو كنت فقيهاً وحاولت مثلاً اصدار فتوى جديدة في عدم حرمة الخمر، ولو كنت ادبياً وكتبت في موضوع وجوه الافتراق بين الفن والأدب، ولو كنت شاعراً وثققت الشعر القديم وطريقة شعرائنا المعاصرين (القدماء) الذين لا يدركون عصرهم ومجتمعهم، ولو كنت مستتراً للقرآن وأشكلت على أكبر المعسر من التريقين، ولو كنت واعظاً وصرحت ان الموعظة يجب ان تتبع اليوم الطريقة العلمية في التلقيم والتربية وعلى الواعظ ان يكون مسلماً يعلم النفس والاجتماع والأدب وفنّ الاعلام والملاقات الاجتماعية وعليه ان يترك الطريقة القديمة المملة في الوعظ، ولو كنت مهندساً مصارعاً أو مؤرخاً أو غير ذلك، بطبيعة الحال كان علي ان اتخذ الطريقة العلمية في التحقيق كي لا يحترق القدر والعشاء ولا تسمى كلماتي احداً بسوء فيعظم قدرتي بين العلماء!

ولكن ما علي ان افعل! هأنذا نلت محققاً علمياً بل كائن ضعيف

يرهنني ثقل التذويب والشهادة لعنات السنين من التاريخ كحبة قمح صغيرة بين مطرقة الاستعمار الخارجي وستدان الاستعمار الداخلي القاسين. فكيف يا أخي تريد مني ان اكون محققاً فاضلاً محترماً مؤدباً موقراً؟!

عندما ذهبت الى مصر لمشاهدة الاهرام لم اذهب الى قبر الفراعنة - كما يفعل المحققون المحترمون - بل ذهبت الى قبو الآلاف من لمبيد الأفاعية الذين ماتوا تحت السياط وهم ينظفون الصحور العظيمة من اسوان الى القاهرة فكان يموت منهم يومياً المشرات والبنات ويدفون في هذه القبور الجماعية. عندما جلست على قبور هؤلاء الأخوة شعرت انني اتحدث معهم. فكنت اتلو على قبورهم مأساة خمسة آلاف عام من الجوع والظلم والخوف والمشقة وكانوا ينصتون معي مأساة حياتهم الشدواء.

قلت لهم: اخوتي مصر خمسة آلاف عام وانتم نائمون في هذه القبور إلا اني كنت طوال هذه المدة اعيش هذا التاريخ الأسود مع الفراعنة والقباحرة والأكاسرة وامثال قارون ويلمع بن باعوراء. واليوم نجأت الى بيت فاطمة المهجور هرباً من اولئك الطواغيت وتلك القصور والمعابد والخرائن هزمت رأسي على جدار هذا البيت ولم يخدعي مد الف واربعة أي كافر ومسلم هأن في هذا البيت فاطمة وعسي والعس والحس وزيب

إلا أنني أرى قوماً جعلوا من هذا البت حائوتاً لمصالحهم وجعلوا من هذه الكمية - لقينة التي حرّرتني قبل خمسة آلاف عام من الرّق والجور والجهل - قاعدة للجور والجهل. ثم تأتي أنت وتطلب منّي اتباع الطريقة العلمية الهادئة اللطيفة الناعمة المتوقفة في تحقيقي؟

إن منطق إنسان شيعي مثلي هو ليس منطق ابن سينا والميزالي والمحقق والمستشرق بل هو منطق أبي ذر الذي شجّع بعظم البعير رأس كعب الأحبار في محضر عثمان! إن النزاع يا أخوتي ليس على «ظريّة علمية» بل على ميراث عبد الرحمن بن عوف

من: لقد أشدّتم في الكثير من كتبكم من قبيل: «معرفة الإسلام» و«فاطمة هي فاطمة» و«انتشع الصاوي» و... بدور علماء الشيعة (الروحانيين) واشترموه إلى فلسفة وجودهم والخدمات التي قدّموها إلّا أنّكم انتقدتم في الوقت ذاته وفي مواضع أخرى النظام السائد في المجتمع الصلواتي وتعدّتم في هذا المجال بشكل مطلق ولم تستنوا بعض العلماء والمدرسين والفصلاء والطلاب من امتداداتكم الحادّة. لماذا هذا التناقض؟ الإحادة والمدح أحياناً واللوم والذم أحياناً أخرى؟

ج: يجب أن نتفق على معنى كلمة «الروحانية» ومنه مصاديقها في البدايه ثمّ نتطرق إلى الآراء والامتدادات الواردة في هذا المجال. أتبى اعتقد أن كلمة «الروحانية» ليست مصطلحاً إسلامياً ولا شيعياً بل هو مصطلح مسيحي دخل أخيراً في مفرداتنا اللغوية، فلم ترد في

نصوصنا الإسلامية كلمة بهذا المعنى بل إن المصطلحين اللذين يستخدمهما المسلمون بدل «روحاني» و«جسماني» هما «العالم» و«المتعلم» أدن علينا أن نستخدم كلمة «العالم الإسلامي» بدلاً من كلمة «الروحاني»، من هو العالم الإسلامي؟

إنه - حسب رأيي - الشخص الذي يعرف القرآن في الدرجة الأولى ويعرف النبي (السيرة والحديث والسنة) في الدرجة الثانية ويعرف أهل البيت وسيرة الأئمة والصحابية وشخصيتهم في الدرجة الثالثة ويعرف الثقافة الإسلامية في الدرجة الرابعة ويكون متخصصاً في إحدى العلوم الإسلامية: الفلسفة الإسلامية، تاريخ الإسلام، علم الحديث، علم الرجال، علم الأصول، الفقه وغيرها في الدرجة الخامسة (وإن كان الترتيب المعالي شيئاً آخر). أما الشخصيات «الروحانية» المحرومة المدّلة المقدّسة التي تشعّ نوراً لكنها لا تعرف شيئاً ولا تحط علماً بأيّ شيء.. فاني عاجز عن معرفتها ولا جدوى من أن ألوم نفسي على ذلك. فما يسمى إن أصل؟ إن الله تعالى لم يعطي هذه الصابلية لأفهم هائدة هؤلاء وإن كان عوام الناس يعذّرونهم ويمدسونهم أكثر من أولئك الذين ذكّرتهم في مستهلّ حديثي. أتبى أسمي هذا النوع من رجال الدين «الروحانيين» (لأنّه لا يوجد اسم محترم آخر ليس له دلالة على أيّ معنى). أرجو أن لا تلوموني على هذا الرأي لأنني صغبت على نفسي وحاولت كثيراً أن اعتقد بهذه الشخصيات المحترمة



لكّني لم انبج في ذلك قياساً من نفسي، اما بالتمس لصلحاء الاسلام فأريد ان ادعي وهناك المشرات من الدلائل والقرائن على اثبات هذا الادعاء بأنني فخور بكوني دافعت بجد وبشكل فكري وعلمي مؤثر وأكثر من أي شخص آخر من العلماء والخطباء والكتاب المعاصرين عن هذه الجماعة العزيزة التي تعدّ أملاً كبيراً ورأساً عزيزاً لنا . وأما الأدلة على ذلك :

١ - همدما تعددت في سلسلة دورس «معرفة الاسلام» من حذف الوسيط في ارتباط الانسان مع ربه في الاسلام، سألتني بعض الطلبة عن دور علماء الدين في المجتمعات الاسلامية فقلت ان علينا ان نميز بين الأمر الرسمي القانوني والضرورة التي تقتضيها الحاجة، ثم أجبت على هذا السؤال قائلاً: ان الفاصل الزمني الذي فصل المسلمين عن صدر السلام والتطور والتفتيد في العلوم والمعارف وبخصوصاً علم الفقه والتشعب في التفرق والمذاهب الاسلامية واختلاط عقائد المسلمين مع عقائد وقياليد الشعوب الاخرى وتمدد الفروع والعقول انسانية في المجتمعات الاسلامية المتطورة، جعل من الضروري ان يكرس البعض انفسهم للدراسة والتحقيق في شتى مجالات العلوم والمعارف الاسلامية لكي يستفي الاخرين (الذين شملتهم مجالات العلم والحياة الاخرى عن درك الحقائق والحصول عليها من مصادرها الرئيسي أي النبي والائمة (ع) أو لم يكن لهم الكثير من الوقت للتفرغ

للتعلم الذين كما كان يفعل ذلك المسلمون الأوائل في صدر الاسلام) ان يتعلموا العقائد وأحكام الدين من هؤلاء المخصصين، وقلت ان هذا لأمر هو ضرورة اجتماعية وعلمية ثم قارنت بين المنصب الرسمي والمنصب الضروري وشبهتهما بالحراس الذين يختارهم الناس في بعض العارات لحراسة منازلهم شعوراً منهم بضرورة ذلك والحراس الذين تعيّنهم الدولة وتعليهم صلاحيات خاصة بزيّ خاص ودرجة رسمية معينة، وهذا هو الفرق بين العالم الاسلامي والنفس المسيحي

٢ - ذكرت في كتاب «الانتظار» نقلاً عن (ونسان مونت) ان طائفة العلوم الدينية هو بروتيتاري فكري، وقلت ان هؤلاء المجاهدين السائرين في درب العلم والايمان الذين لا تتجاوز ثقافتهم عن نفقة طير امريكي كرسوا حياتهم وشبابهم لتعلم الدين في الوقت الذي يختار فيه طلبة الجامعات حقولهم الدراسية على اساس الدخول المستقبلي المتوقع لهذا القسم الدراسي أو ذلك .

ان طالب العلوم الدينية يقضي صمره الدراسي بزه لا يكاد يصدق ولا يوجد أي ضمان لتأمين حياته بعد اتمام الدراسة والتخرج ولا يشمل أي امتياز من الامتيازات الطلابية العادية الا انه وبالرغم من كل ذلك ينتهج هذا الطريق بصبر وايمان ووفاء لا يوصف .

٣ - قلت في إحدى المحاضرات الطلابية العاشة في حسينية الارشاد مخاطباً الطلبة الجامعيين: ان أملي طلبة العلوم الدينية هو أكثر

منكم بالنسبة لمستقبل هذه النهضة الفكرية وترعية الناس وحياء روح الاسلام الأصيل وبعث روح الرخص والمدالة التي تتجلى في التشيع الطوي لأنّ حياتكم الفكرية قصيرة جداً ولا تتجاوز الأربع أو السبع سنوات، بعدها سيشعلكم روتين الحياة وستكونون بشكل لا ارادي في مخالطة الطبقة البرجوازية. أما طالب العلوم الدينية فإنّ عمر مسؤولته الاجتماعية يساوي كل حياته فهو يشعر بالمسؤولية حتى الموت تجاه عقائد الناس ومصيرهم

٤ - لقد أثبتت في دراستي المجدور الطبقية هي «الحرورية» و«الجامعة» أن أكثر من ثمانين بالمئة من الجامعيين (الطلبة، الموظفين والاساتذة) ينتمون إلى الطبقة البرجوازية الساكنة في المدن وخمسة بالمئة منهم ينتمون إلى طبقة الاقطاعيين القرويين. أما الحروريون (العلماء المراجع، المدرسون والطلبة) فينتهي خمسة بالمئة منهم فقط إلى الطبقة المتوسطة الساكنة في المدينة (البرجوازية الصغيرة والكسبة الصغار) وينسب أكثر من تسعين بالمئة منهم إلى الجماهير القروية المحرومة وأبناء الفلاحين والملاهي القرويين. ويتضح هذا التحليل نتائج اجتماعية وفق تقييم اجتماعي مهصل وشامل.

٥ - لقد أحصيت في رسالة تحقيقية كتبها لوزارة العلوم وفي معالة «الصحراء» كوير» أيضاً السوارد التالية لرجحان الطريقة التلميمية الثربوية الحوزوية على الطرق الأكاديمية:

(١) اختيار الاختصاص العلمي على أساس القيمة الفكرية لا الدخل الاقتصادي.

(٢) الشعور بالمسؤولية الاجتماعية التي تتناسب مع الاختصاص الدراسي منذ اللحظة الأولى من الدراسة.

(٣) اختيار الأستاذ بعناية تامة على أساس لياقته وقيمه العلمية

(٤) ضرورة احتفاظ الاساذ بوجهته العلمية والاخلاقية.

(٥) وجود علاقة المريد والمراد بين التلميم والاستاذ

(٦) الطريقة التلميمية المدرجة.

(٧) رواج «المباحثة» بين الطلبة بمد كل درس.

(٨) حسرية الحضور في الصفوف وعدم التقيد بالمظاهر والشكليات المعقدة والادارية الجافة التي تشكل عائقاً هاماً في طريق كسب العلم

(٩) مجانية التعليم

(١٠) امكاسة مواصلة الدراسة لعموم الناس بجميع اعمارهم وطبقاتهم وظروفهم

(١١) اعطاء المنح الدراسية وتأمين السكن والامكانيات الدراسية لكل طالب.

(١٢) اندماج الاخلاق مع العلم بشكل طبيعي

## ١٣) الاتصال الدائم بالجمهير

١٤) قبول مسؤولية القيادة الفكرية والهداية الاجتماعية للناس

١٥) العلاقة الوحيدة بين الايديولوجية والعلم.

١٦) وجود «ثقافة مشتركة عامة» و«جهة واحدة» و«تتبع

كامل» بين الفروع والأقسام العلمية المختلفة رغم تعددها ووجود التخصص فيها.

١٧) الاتصال بالماضي التاريخي والحاضر والمقاضي (الشيء

الذي لا يراه في الثقافة الجديدة)

١٨) عدم وجود أي شكل أو قالب ظاهري في تقييم الدرجة

العلمية للطبقة والامتياز وتفويض هذا الأمر للناس والاعتماد على

كفاءة الشخص الذاتية وقيمه الفكرية وكما له الملحق بدلاً من دوائر

التوظيف وقوانين الترفيع والتلقائي (التي شبهتها في كتاب الصحراء<sup>(١)</sup>)

بأجاص بخاري الذي يقع في الماء، فيصبح مساعد المدرس بعد أربع

سنوات ويشكل اتوماتيكي مدرساً ومصبح المدرس الجامعي بعد

خمسة سنوات استناداً إلى...

١٩) ذكرت في كتاب «التشيع الطوري والتشيع المصموي» أن علماء

الشيعة رفضوا دائماً وعلى مدى ألف عام من التاريخ الإسلامي آيات

(١) كوير

الثورة على الظلم وكانوا من اسدافين عن الحركات المطالبة بالعدالة  
والحرية الاجتماعية وحاكميه العلم والتقوى، وقد حرض علماء الشيعة  
الناس دائماً على مواجهة أنظمة العلاقة الاستبدادية الارستقراطية  
والحكومات التابعة لها وكانوا دائماً في طليعة الحركات الجماهيرية  
الثورية، وغير شاهد على ذلك حركة المدومين<sup>(١)</sup> في القرن الثامن  
الهجري.

٧- ذكرت في كتاب «تاريخ الأديان» أن علماء الشيعة هم أنزه  
هذه أو طبقة روحانية بين جميع الأديان والمذاهب في الماضي  
والحاضر

٨- أن التقوى والفروع والاتصال الدائم بالجمهير والوقوف  
بوجه القوى المعاكسة - أو الإبتعاد عنها على الأقل - هي من الخصائص  
الطبيعية التي يمتاز بها علماء الشيعة على رجال الدين في المذاهب  
والأديان الأخرى لأنهم يعتمدون من الناحية الاقتصادية والاجتماعية  
على الجماهير لا على الحكومات.

٩- ذكرت في كتاب «الاستنظار ومذهب الرفص» أن هناك  
اشخاصاً يتحلون الزِّي الطماني بتخطيط وتأمير تقوى المعادية للناس  
مسمين بذلك عصر النسبة وأصل نيابة الامام (ع). إن هؤلاء

لانتحالين قد يحصلون بمساعدة تلك الأيدي الأثيمة السرية والمخفية على مقام روحاني أو وجهة مصطنعة أو مرجعية كاذبة بعبء الإساءة إلى لوجوه العلمانية الحقّة والتقليل من شأنها ودورها المحوري في المجتمع

١٠- نصي الحديث الذي تحدثت به في بداية الدرس السابع عشر من سلسلة دروس «معرفة الاسلام» ردّاً على نقد غير لائق أوردته السيد (مكارم) في مجلة «في رسالة الاسلام»<sup>(١)</sup> في البداية لم أكن أرغب في الرد إلاّ اني شعرت ان الطلبة الذين يعرفون دروسي وأرائي جيداً استمربوا كثيراً من الاسلوب والاحلاق وأدب الكتابة في هذه المسحلة الدينية المتسربة إلى علماء الدين فرأيت من انضروي أن ادافع عن المحرزة العلمية قبل أن ادافع عن نفسي فقلت آنذاك

أولاً، إنّ طريقة التفكير واسلوب الكلام في تلك المقالة يخفص صاحب المقال وليس له أي علاقة بعلماء الدين (وهذا ما أقوله دائماً عندما أواجه أي همة أو هتينة من المثبّسين بالزّي العلماني المقدس لآني أعرف جيداً أثرها السلبي بين المفكرين لذا أسمى دائماً إلى تبرة علماء الدين من هذا الانتساب)

ثانياً، إنّ أي مشترك ومعممة في هذا المجال توجب صرف

الأدهان عن الحقائق، لذا إنّ واجبا هنا هو الصمت والصبر تجاه هذه لشنائم والنهم. من هنا اضطرت آنذاك إلى التذكير ببعض الأمور، وأودّ ان يتلّقى الجميع هذه التذكرة كردّ به على كل تهجم من هذا القبيل وكراي خاص بي تجاه علماء الدين والمحرزة العلمية الدينية إنّما من المعمدة فهو كما يلي:

«...المسألة الثانية التي تعتبر مسألة مهمة للماية هي أنّ البعض يحاول يشتي الاساليب ان يصوّرنّا للآخرين بأننا فئة أو اشخاص مناوئون لعلماء الدين فيتهمون علينا تحت هذا العطاء، والماية من ذلك هي اننا ننتهك على العلماء دفاعاً عن انفسنا لكي يستنلوا، هذا انتهم ويقيموا بين الناس ان هالك فئة أو جماعة من المفكرين تحالف علماء الدين. هذه هي عايتهم، وعلينا ان نصبر تجاه هذه الاستعزارات والنهم الواهية ونضع الأمر امام الآخرين ليحكموا عليه لكي تحبط هذه المؤامرة الفذرة. من هنا اريد ان اقول ان شخصاً مثلي (يتحدث بهذا الكلام ويحمل هذه الآراء ويفكر بهذه الطريقة) قد لا يتفق مع عالم ديني في بعض المسائل وينتقد طريقته في التبليغ الديني أو طريقته في تحصيل بعض القضايا ويختلف معه في الكثير من الامور - وان كان ذلك العالم عالماً دنيّاً حقيقياً - الا ان هذا الخلاف هو خلاف الأب والابن في الاسرة الواحدة ولهذا اسمى ان لا أبحر هذا الخلاف العائلي بين جيلنا والجيل السالف إلى الأثرة والأسواق لكي لا يستغلّ

العدو - عدو هذا الجيل والجيل السالف - هذا انخلاف لصالح اصرامه وأطماعه

١١ - ذكرت في سلسلة دروس «معرفة الاسلام - حسينية الارشاد» ان رابطة الطلبة الايرانيين المقيمين في فرنسا - التي كانت تديرها بعض الأيدي آنذاك - نظمت ذات مرة اجتماعاً حضره السيد جهانبگیر تمضلي. وقد تحدث في هذا الاجتماع السيد رزم آرا ونهجم خلال حديثه على علماء الدين بألفاظ من هذا القبيل: «في إيران، عندما أمر من امام مسجد أو أسمع صوت واعظ يتحدث تندهور حالتي الصحية ويستاء مزاجي، اني اكره هذا الدين وتشتر نفسي من رحانه، ان هؤلاء الملالي هم السبب في شقاء البلاد ويؤسها وهم القاعدة الرئيسية التي يرتكز عليها الاستعمار...»

أردت ان تحدث الانهم معوني من الحدث. انتظرت وصول اندور لي لأتحدث لكنهم لم يراعوا الدور، فما كان يوسمي إلا أن أمرض هي على المجلس برفع صوتي فقلبه اني استعرب من حديث السيد... لأننا لو راجعنا اليوم القبائل الاخرقية البدوية لرأينا جميع افرادها يعرفون هذا المبدأ الاخلاقي الحضاري المسلم الذي يفرض على اصرام عقائد الآخرين وآرائهم. اني استعرب من كونكم تمسسون في عاصمة الحضارة وحرية الرأي واحترام عقائد الآخرين ولم تتأثروا بهذه الحضارة اي تأثيراً؟

ان الدعوة للحضور في هذا الاجتماع هي دعوة هائلة، اذن انتم تمولون حضور اشخاص مثلي لم يتفقوا بعد الى درجة تجعلهم يتحكمون كلامكم، فكيف تسمحون لأنفسكم بالانساء الى عقائد اشخاص مثلي؟ ثانياً ان الدين ليس قطعة من الحلوى كي تتحدثوا عنه كما تتحدث الرحمى المصاح الى زوجها مما معنى قولكم «نحن لا نحب الدين»! ثالثاً، انكم تقولون ان الملالي كانوا قاعدة للاستعمار، لكن هذا الكلام هو مسألة واقعة وتاريخ وليست مسألة دور كي يمسس لكم لتحدث عنها كيما تشاؤون، بل عليكم أن تأتوا بما يبرهن على ذلك فحسب ما تفيد معلوماتي ان جميع الاتفاقيات الاستعمارية الموجودة وقعت على يد الدكاترة والمهندسين واصحاب الشهادات العليا الذين اكملوا دراساتهم في الجامعات الغربية، فان استطعتم ان تأتوني بتوقيع احد هؤلاء الملالي الذين تخرجوا في حوزة الحنف لا تفقت معكم في الكلام وشاطرتم هذه المقولة، إلا اني أرى العكس هو الصحيح لأننا نرى وجوهاً لبعض هؤلاء الملالي أو على الأقل وجهاً واحداً لهم في طليعة كل نهضة مساوية للاستعمار وهي مقدمة كل حركة ثورية تقدمية تطالب بالاستقلال ابتداءً بسيد جمال والميرزا حسن الشيرازي وحتى رجال ثورة الدستور -.

١٢ - لقد دافعت بكل وجودي عن علماء الدين ودورهم الاجتماعي خلال فترة نواجدي في أوروبا (من عام ١٩٥٩ حتى عام

(١٩٦٤) وتصديت لجميع التهم الموجهة لهم وكان هذا متزامناً مع اتفاق أغلب الفئات المتنازعة على القيل من منزلتهم ودورهم الاجتماعي. فقد دافعت عن علماء الدين في الأوساط الفكرية الأوروبية وفي أوساط الطلبة الإيرانيين بشكل مؤثر مستخدماً لذلك شتى الأساليب والطرق كالمحاضرات والتقاير والدراسات العلمية في علم الاجتماع الديني. وهذه هي حقيقة لم أتحدث عنها أبداً لأن الخوض فيها يستلزم نوعاً من التعجب وملح الدات وما ذكرتها هنا إلا اثباتاً ثانياً يدي لهذه الجبهة ووقوفها بجانبها وهذا ما يعرفه كل مطلع على الأوضاع في خارج البلد.

هذا هو رأيي في علماء الدين وذلك هو رأيي في «الروحانيين» (بالمعنى الآخر)!

والآن علينا أن نتساءل من مصدر هذه الاشاعة التي تسهمي بمخالطة العلماء والحرورية العلمية وللأجابة على هذا السؤال علي أن أقول:

أولاً، ان القاسطين يحطون ليدز التفرقة والنماق والشاؤم بين المثقف والمتدين، والحرورية والجامعه، والطالب الجامعي والطالب الحروري، والخواص والعوام، وأن الشيء الوحيد الذي من شأنه أن يبطل هذه الحطة هو عمل «جماعة من المثقفين المذبيين» على بناء جسر سد هذه الفجوة الكبيرة.

فاليوم يجلس الطلبة الجامعيون والحروريون جنباً إلى جنب في حسيية الارشاد ويرجع المثقفون - ولأول مرة - إلى علماء الدين ويتقون إلى جانب الجماهير وهذا أمر لا يروق للقاسطين، لذا برهم يحطون دائماً لإثارة الضجة ورجع الثقة بين الفريقين بشتى الوسائل والأساليب كالزور والتزوير والقتل والافتراء والتهمم والاشاعة وحتى لكلام الفاحش والطعن بالأهراض

ثانياً عندما قزروا التهمم علي وعلى حسيية الارشاد وهو شماراً فحماً وغير مدروس في ساديء الأمر. فالقميص الذي رفعوه ليوحوا للناس انه قميص عني سرعان ما ظهرت حقيقة كونه قميصاً لثمان فقد احتاروا في البداية ومن بين التهم الموجودة كالانتساب إلى النصرانية واليهودية والبايئة والشيوعية والوجودية والشيعة والصوفية وغيرها. اختاروا أكثر هذه التهم تأثيراً في مواطن الشيعة في إيران فاتهموني بالانتساب إلى اسوء المذهب المستي أي المذهب الزهائي، وكان هذا الاختيار صائباً من هذه الناحية إلا أن الشيء الوحيد الذي لم يكن في حسيانهم هو عدم التصاق هذه التهمة رغم استخدام الأطنان من صمغ الدجل والمصطلة

عموا بلاغاتهم على جميع الشعب والنروع وشرع عملاؤهم بإشاعة هذه التهمة، ولكن ولحسن الحظ وبمساعدة حسيية الارشاد واهتمام جماعة من زملاء تم استئساح وطبع الدروس والمعاصرات

وحتى اشرطه الكاسيت التي سجلت عليها محاضراتي، وقام انطليق من كل المدن والكتليات باستنساخ هذه النماذج وتوزيعها على قدر استطاع شعوراً منهم بالمسؤولية تجاه ذلك وهكذا عرضت افكاري (عن انتصيح واهل البيت والائمة ولا سيما علي و فاطمة والحسين والامام الموعود (ع) على اصحاب الفكر والقلم وخاب أمل الأعداء وأصبح طرح هذه التهمة في أخصى المساجد والحسينيات وحتى في مجالس الغراء التي تعدها النساء في البيوت امراً لا يجلب لصاحبه إلا الغزوي والمار أو لظمة على الأستان. لكنهم لم يكتفوا بهذه التهمة فاستبدلوها بتهمة أخرى ورفضوا هذه امرأة شعار محاللتنا لعلماء الدين. فالهم هو استنزاف العلماء وتحريكهم وتحريضهم ضدنا سواء أ بسهمة المحاولة للتشجيع أو المخالفة للعلماء الذين!

يبد أنهم أخطأوا في حساباتهم مرة أخرى فكيف يمكن التهمة التي لم تؤثر في حوام الناس ان تؤثر في علمائنا المفكرين الذين يراعون في حكمهم على الأمور المعايير السلمية والشروط الفقهية والمثل والمنطق؟

وهكذا بادت حملتهم الثانية بالفشل ايضاً ليشعروا بالبحث عن قميص عثمان آخر، الا ان علماءنا الاعلام ووعاظنا الأفاضل وطبنا الواعين انتبهوا ولحس الخط وخصوصاً بعد اشاعة التهمة الثانية الى فلسفة هذه المؤامرة ورفض الأعداء منها. ونحن ايضاً شعرنا بخطورة

السوق، اكثر من ذي قبل فأخذنا بخطورائنا بحسطة وحذر وكان هذا الشعور المشترك هو السبب في تقاربنا والتعرف على بعضنا قسماً من خلال هذه المعرفة دروساً كثيرة، فما أكثر العلماء والقضاء والخطباء والمتدينين الذين كانوا يشككون بإحلاصنا وصحة رؤيتنا أو طريقتنا في التفكير والعمل متأثرين بالندعيات المفسوكة والأجواء السامة وحملات التزيير والاتهام وما أكثر المفكرين والمثقفين الذين كانت لهم مشاعر سليمة تجاه علماء الدين تحب تأثير اوراق الدعاية المشبوهة. لكننا نرى اليوم مشاهد مثيرة ومفهمة بالمواطن والاحلاص من الانتباه الى انفسنا والايمان ببعضنا وراحة العبار والصدأ عن قلوبنا وتوطيد أوامر احوتنا

من: ان طريقتكم في الكتابة والتعبير تسبب الموص والايهام للبعض فيما يستغلها البعض الآخر من يحمل افكاراً خاصة لصالح ترويح افكاره كما يستغل طريقتكم هذه بعض المفكرين الذين يتريصون الفرص دائماً كي يشوشوا أذهان المصوم من الناس بل الهو من منهم ممن لم تعودوا على المرحمة والتعقيد في المسائل التي يسمونها. فهل لكم ان تبكوا طريقة تميركم هذه بشكل تسلبون فيه امكانية الإساءة في تفسيرها وتأويلها؟

ج: أعتقد ان المستحيل ان يبلغ خطيب أو كاتب مهما كانت مهارته وثقافته وأدبه واحاطته بعلم اللمة - هذه الذروة من الأدب بأن لا

يكون في كلامه أي إيهام لأي قارئ أو مستمع مهما كان مستواه أو نوع تفكيره وثقافته وبسبب الطريق على أي مفروض كي لا يحرف عبارة من عباراته. ففي الوقت الذي يرى فيه القرآن وهو كلام الله تعالى يتوَلَّد لمقاصد وأغراض عديدة ويختلف العلماء المفسرون البارزون في فهم وتأويله ويستنبط كل فريق وفئة وطائفة من كل آية من آياته ما لا يستنبطه الآخرون، كيف يمكن للكاتب أو خطيب عادي أن يتحدث أو يكتب بطريقة لا يمكن تأويلها وتفسيرها؟

من هنا أريد أن أقول أنه كلما ازداد الفكرة مضطربة وكلما زادت المعاني ظرفية وكلما ازدادت المشاعر سكرًا وكلما ازداد الكلام جماليًا وبداعة، سيرداد معه أيضاً احتمال سوء الفهم والابهام والالتهام، والاختلاف في درك المفاهيم، والتناقض في الاستنباط وأنواع الأغراض والأمراض.

### من حوار أحد الطلبة الجامعيين مع الدكتور شريعتي



**الطالب :** لقد امكن تصويركم في الازدهان كتصوير «ممكر ديب» فهل انتم راصون عن هذا التصوير؟

**شريعتي :** لو عرضكم أحد بكلمتين مجهولتين، فهل سيريحكم هذا التعريف؟

**الطالب :** ان معنى هاتين الكلمتين بسيط وواضح بالنسبة لنا فالممكر: هو الشخص الواهي الذي يخوض في مجال الفكر، والذي هو الذي يؤمن بما وراء الطبيعة كالإيمان بالله مثلاً..

**شريعتي :** لو امتعن أحد عملاً فكرياً (كالمحاسبة مثلاً) لكنه لم يكن واعياً فهل سيكون مفكراً؟ ولو كان واعياً ولم يعترف عملاً فكرياً فهل سيكون «غير مفكر»؟ وإن كان يؤمن بالله ولا يؤمن بما وراء الطبيعة فهل سيكون «غير ديني» وإن كان يؤمن بما وراء الطبيعة ولا يؤمن بالله (مثل بوذا وهيجل) فهل سيكون دينياً؟

**الطالب :** يبدو أن المسألة ازدادت صعوبة .

**شريعتي :** كما تلاحظون ان المسألة ليست بهذه البساطة. فبالأما ما يحصل سوء التهم بسبب مرورنا على المسائل سر الكرام، فأتينا

تتعلق على الحقائق وكأننا نلعب في «سيرا السطحي» في العملية الفكرية. والكلمات التي نستخدمها لاستيعاب مقاصدنا ونقل ما هي ادعائنا، غالباً ما تكون مبهمة لنا ولخطابينا، أو غير متفق عليها من قبل طرفي الحوار على الأقل. لكننا على الرغم من ذلك نرى أن الحوار يجري بشكل طبعي بدون أن يشعر أي طرف من الأطراف بعدم الاتفاق على الكلمات التي يستخدمونها، والأغرب من ذلك هو أننا نرى في بعض الأحيان أن المعاديات والمباحثات تجري على ما يرام وتسهر من نتائج متفق عليها في ظاهر الأمر ولكنها لو أمعنا النظر في هذا الاتفاق لرأينا أن الجانبين قد اتفقا على كلام لم يتفقوا على معناه، والسبب في ذلك هو أن جانبي الحوار لم يبقا وقفاً كاملاً على معنى الكلمات الأساسية التي تبادلوها في حوارهم بل اكتفيا بالمعنى الاجمالي لتلك الكلمات. هاتان الكلمتان (المفكر والديني) هي من هذا النوع من الكلمات

**الطالب:** ألا تعتقدون انكم اهتمتم الى مبحث الألفاظ؟

**شريمعتي:** بلى لأن الألفاظ هي الأدوات الوحيدة لبيان الأفكار وقبل كل شيء علينا أن نتأكد من دقة وصحة أدوات عملنا.

**الطالب:** على أي حال، ماذا تعني هاتان الكلمتان (المفكر الديني) بالنسبة لكم؟

**شريمعتي:** اني اعتقد أن الدين هو معنى «المعرفة بالذات» =

(conscience) خلافاً لما تعنيه «الفلسفة» أو «المفكر» أو «الصناعة» التي تعتبر نوعاً من العلم (science). والمفكر هو الشخص الذي يبي الزمان والمجتمع والتقدير التاريخي والعلاقات الاجتماعية والمواجهات والجهات والمصير الاجتماعي الخاص به، وبمباراة أوجز: المفكر هو الشخص الذي يبي «الوضع» أو «الحيثية» الاجتماعية الخاصة به (situation social)<sup>(١)</sup> وهي التي يسكنها الاسلام «الطهر» وهي التي يقصدها افلاطون عندما يرمز الانسان بأنه «حيوان سياسي»<sup>(٢)</sup>

نعم، بهذا المعنى انا راض عن عبارة «المفكر الديني» واشكركم عليها! ولكن علي أن أقول اني لست مفكراً ديبياً بل اتمنى وأسى لأكون مفكراً ديبياً فاني ما رلت اسير في بداية هذا الطريق. اقول هذا كي لا يتهموني بالمحب والتعطرس.

(١) لمزيد من الاطلاع يرجى مراجعة كتابي «الطريق الثالث» و«معرفة الذات والاستعمار» للمؤلف.

(٢) لقد ترجم هذا التعريف (الانسان حيوان سياسي) بالمعنى الاجتماعي (الانسان حيوان اجتماعي) في حين تعتبر الحقلة حيواناً اجتماعياً ايضاً ان الحيوان السياسي هو الحيوان الذي يبي المجتمع الذي يعيش فيه ويشعر به - بوهي - بالصير المشترك وأواخر الاشتراك التي تربطه بمجتمعه ولذا عرفنا الانسان بأنه «حيوان متعصب» ولا ننسى ان السبب الذي جعلنا نرسم للتعصب تصويراً شيئاً في ادعائنا هو اننا نرى غالباً التعصب السبب في حداثته ليس أنراً شيئاً للتعصب - كالتعصب - هو الانتماء الى الحصة بمعنى الجماعة وهو الشعور بالانتماء والارتباط بالجماعة

**الطالب :** لقد ذكرت في العبارة الأولى من مقدمة سلسلة دروس «معرفة الاسلام» ان الدولة العثمانية هي رمز للاقتدار الاسلامي (معرفة الاسلام ص ١٢) في حين يعلم الجميع ان هذه الدولة هي دولة فاسدة ولا يليق بها ان تسمى دولة اسلامية.

**شريعتي :** ولهذا السبب كتبت في العبارة الثانية وفي الصفحة نفسها: «ان الهزيمة العثمانية لم تكن هزيمة سياسية وعسكرية بحسب بل كانت بمثابة سقوط النفاذ الاسلامي واستهلاك لتسوى المسلمين الروحية والفكرية، فقد جعلت الدولة العثمانية - من الدين مادة ايوية تحذر بها الجماهير وجعلت من الاسلام طليساً يحافظ على لارستقراطية وقاعدة عريضة يركز عليها سلطان العنصر التركي (معرفة الاسلام ص ١٢)

**الطالب :** لقد خلق احد السادة اخيراً على عنوان كتابكم «مسؤولية الانتماء الى مذهب التشيع» بان اختيار هذا العنوان يكشف عن مدى حقدكم على المذهب الشيعي، فما هو تلميحكم على ذلك؟

**شريعتي :** انا لله واننا اليه راجعون

**الطالب :** قد يشعر البعض من خلال مطالعته لكتابي الصحراء (كوير) ودرس (بودا) الذي نشرتموه ضمن مجموعة دروس «تاريخ الادمان» ومن خلال رواية بعض الطلبة الجامعيين الذين حضروا دروسكم في جامعة مشهد واقراءهم بانهم كانوا يتنجدون بشدة

وينسون أنفسهم اثناء تدريسكم لموضوع «بودا»... قد يشعر البعض اياكم معجبون جداً بالدين البوذي؟

**شريعتي :** نعم فأنا «سني المذهب» «صوفي المذهب» «بوذي» ذو نزعة وجودية «شيوعي» ذو نزعة دينية «مشرّب ذو نزعة رجعية» «واقعي» ذو نزعة خيالية «شيخي» ذو نزعة وهابية وغير ذلك (المهم زد وبارك).

**الطالب :** لماذا لم تردوا بعد الآن على الانتقادات والتهجمات التي استهدفت كتبكم ومباحثاتكم؟

**شريعتي :** لقد شوّشوا ادهان شعباً دائماً بهذا الصنيع وهذا البراك الفارخ ليكرّوا صفو الماء ويتصيدوا فيه، لذا لم أحاول اقتتال اي ضجة لأشوّش بها الأدهان أبداً

يبد ان بعض الزملاء الذين يؤمنون هم أيضاً بهذا المبدأ ارتأوا اقامة ندوة سؤال وجواب ونشرها على شكل ملزمة لتبيين بعض الحقائق لمن لا يعرف شيئاً عن برمجع حسينية الارشاد الدراسية والاعلامية والتحقيقية وكتبها المطبوعة ولأولئك الادرس أعدت الأشاعات المتواصلة في أدهانهم نطباعاً خاصاً أو شبهة أو اتهاماً في مسألة ما

**الطالب :** اليوم وبعد مرور خمسة أعوام على نشر سلسلة دروس

«معرفة الاسلام» هل لديكم أي نقد على هذا الكتاب؟

شريعتي : لقد كانت لدي بعض الانتقادات على هذا الكتاب منذ اللقطات الأولى لنشره لأن هذا الكتاب هو مجموعة دروسي الشهرية التي أليتها على الطلبة . وقد طبع هذا الكتاب تحت اشراف الطلبة بدلاً من استسماعه ومن الطبيعي أن لا يكون المعلم راضياً عن دروسه الشهرية لو تم تدوينها على شكل كتاب . واليوم وبعد مرور أكثر من خمسة أعوام على نشر هذا الكتاب اذكر كلام استادي عرويش الذي خاطبني مترشحاً ذات مرة : «أين كنت نائماً في لحد أم تلاجة ؟»

**الطالب :** كيف يعرف الناس رأيكم الموجود في كتاب «معرفة الاسلام» في عام ١٩٧٢ وذلك بعد مرور خمسة اعوام على نشره؟  
شريعتي : الأمر بسيط جداً ولا يكلف سوى عشرين ريالاً فقط ملزمة «معرفة الاسلام» ، الجزء الأول والثاني (طبعة حسنية الارشاد عام ١٩٧٢).

**الطالب :** ما هي انتقاداتكم الخاصة في خصوص مضامين ملزمة «معرفة الاسلام» القديمة؟

شريعتي : (الف) كان علي أن أشرح موضوع الامامة في مبحث الشورى (ص ٢٨) كي أضع بذلك امكانية اساءة التصرف أو سوء الفهم . فقد احرقت في هذا الكتاب عن مخالفتي لمبدأ «الشورى» و «البسة» (لا

بشكل مطلق بل هي موضوع الامام علي (ع) وبعد وفاة الرسول (ص) وقد استعرضت يرايين عقلية ونقلية كثيرة في آليات مسألة «الوصاية» بعد النبي ووجهاتها على «البيعة» ونقلت قصة المدير وولايه الامام علي (من ص ٤٢٣ وحتى ص ٤٢٣) . ولكن وقوع هذا الفاصل بين هذين العنوانين صار سبباً لأن يتهمني البعض بالمخالفة لمسألة الوصاية والمدير رغم اني تحدثت عن مسألة الشورى صفحة واحدة وعن مسألة المدير عشر صفحات.

(ب) في الصفحة (٥٢٩) ابدت رأيي في موضوع تعدد الزوجات مستشهداً بإعلان جبهة التحرير الجزائرية وأزمة النساء في ألمانيا بعد الحرب العالمية وغير ذلك من الشواهد . فخطرت لي جواز تعدد الزوجات في الاسلام (بالطبع مع الأخذ بنظر الاعتبار الفلسفة الخاصة والظروف والأوضاع الاستثنائية الفردية والاجتماعية) حتى انني وصفت تعدد الزوجات بأنه من الخصائص التي تدل على «الواقعية» في الاسلام . غير أن تمييزي الخاص (في هامش الصفحة ١٢٠) أثار نوعاً من الإيهام رغم تصريحاتي المفضلة في هذا الصدد . تانياً لم تترجم هذه الآية بشكل صحيح في الكتاب : «ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة ...»

(ج) انتقادي الثالث هو اني اعتقد ان عساوين اصول المقتدات الاسلامية التي نقلتها عن فريد وجدي في القسم الأول من الكتاب

(١٢٠١١ صفحة الأولى منه) هي عناوين سطحية من حيث المستوى بحيث أثمر الآن أنني قادر على استنباط القواعد الأساسية الإسلامية برؤية أدق وأعمق وأبدع مما نقلته في كتاب «معركة الإسلام». لقد شرعت بهذه «السطحية» قبل خمس سنوات أثناء كتابة الكتاب أيضاً (وإن لم يكن هذا الشعور يعنى شعوري في هذه اللحظة)، لكنني أردت أن أسد الكتاب إلى سد علمي شهير فوق إجماعي على سيرة فريد وجدي، مع كل ذلك وكما تلاحظون أنني نقلت عن فريد وجدي المساوئين فقط سيما جميع التفاصيل هي مني حتى أنني طرحت مساوئين جديدة وعميقة تحت عناوين فريد وجدي البسيطة وكان من الجدير أن تطرح لي عناوين مستقلة.

ثم إن فريد وجدي لم يأت بالتوحيد كقاعدة أساسية من قواعد الإسلام ولعل السبب في ذلك هو اعتقاده بأن التوحيد ليس مختصاً بالإسلام، غير أنني قلت إن التوحيد في الإسلام يختلف تماماً عن التوحيد في الأديان السابقة نظراً لعمقه ودائرة شعوله ولهذا طرحت التوحيد تحت عنوان مستقل. والإشكال الذي أراه وارداً عليّ هنا هو أنني طرحت التوحيد في أبعاده الإنسانية والأخلاقية فقط بينما تلاحظون اليوم في سلسلة دروس «معركة الإسلام» الجديدة (طبعة الارشاد) أنني وسّعت دائرة البحث إلى أربعة أبعاد:

١- الرؤية الكونية

٢- فلسفة التاريخ

٣- علم الاجتماع

٤- فلسفة الأخلاق

والإشكال الثاني الذي اعتبره إشكالاً أساسياً هو أنني وضعت التوحيد في مستوى أصول الدين الإسلامي الأخرى متبناً بذلك الطريقة التقليدية بينما اعتد اليوم أن للإسلام أصلاً واحداً لا غير وهو التوحيد، فهو بمنزلة الجذر للشجرة ولا يمكن أن تتعدّد (لأنّ التمدّد هو في الأعصان وليس في الجذر). وأما سائر الفروع الأخرى كالنبوة والمعاد والإمامة والمدل والجهاد والحب والأخلاق و... فهي فروع تنفرع من هذا الجذر وتنشأ عن هذا الأساس.

**الطالب:** لا يعنى على أحد إنّ والدكم الأستاذ محمد سقي شريعتي مؤسس «مركز نشر العقائد الإسلامية» هو من روّاد النهضة الفكرية الإسلامية ومن الوجوه البارزة التي قدّمت خدمات علمية جليلة في سبيل تبليغ الدين والمذهب لا يسع المجال لتفصيلها، وهذا هو الحال بالنسبة إليكم أيضاً فالجميع يرمون ما بذلتوه من جهود عظيمة في سبيل إحياء الفكر الديني والدعوة إلى الإسلام على أساس الرؤية الكونية للمذهب الشيعي وتأثيركم العميق والسريع على عقول الممكرين والطلبة الجامعيين داخل البلد وخارجه وكلّنا نعلم أيضاً بأنّ التشريعات والدروس والمعاصرات (العلمية والتبليجية) والمؤتمرات

والمهرجانات وحفلات التأبين والبرامج الخاصة بشهري محرم ورمضان التي أقامتها حسينية الارشاد منذ بداية تأسيسها الى يومنا هذا وخصوصاً في الستين الماضيين قد اختص معظمها بالدفاع عن المذهب الشيعي وبشر معارف أهل البيت والتعرف بشخصيتهم (عليهم السلام) غير أننا وبالرغم من كل ذلك ملاحظ اليوم حملة دعائية مدروسة ومستمدة تصاحبها أنواع التهم والاكاذيب والاشاعات قد استهدفت حسينية الارشاد وشخصكم الكريم، بل استطالت لتشمل والدكم (الاستاد محمد تقي شيرازي) الذي كرس عمره الشريف لخدمة الاسلام والمذهب. وسؤالنا هو: أولاً من الذي يقف وراء هذه الحملة الدعائية؟ وثانياً ما هو الهدف من هذه المؤامرة؟

شريعتي هي الحقيقة، لا استطيع الاجابة على الشق الأول من اسؤال لسببين أولاً لأنني أعتقد ان العوالم أوصح من الشمس، وثانياً لأنني أحاف! فلا يسمني إلا أن أقول بحذر - كي لا يسمعي الجنداء - ان هذه الجماعة لا تؤس أساساً بالشيء الذي تتظاهر بالدفاع عنه!

وأما أهداف هذه المؤامرة والنتائج التي يريدون الحصول عليها فهي

١ - السعي الى تشويه سمعة حسينية الارشاد بين الجماهير وإبعادهم عنها

٢ - السعي الى تشويه سمعة حسينية الارشاد بين المستنيرين لمر لها من المجتمع وتهيئة الأرضية اللازمة لتطيلها

٣ - الدفاع عن موقع السادة الديني والاجتماعي والمحافظة على الوضع الموجود وحكر الأفكار الدينية في أطر مغلقة لا تكون مفاتيحها إلا بأيديهم

٤ - الذم بما يشبه المدح لاثمهم يدافعون عن رجال الدين بخلق سقيم ولسان متفحش وأفعال مستهجنة كالتزوير والتعريف والكذب والشتم والبهتان ويهزؤون بالمواهب بأنواع لطرق الرجعية المنياء والتصرفات لهيئة التي تمنحها الإنسانية والاحلاق ويرفضها المصلح السليم، فالمستهدف هنا هم «رجال الدين» وليس أنا المعلم البسيط المتواضع الصانع - انهم يقومون بهذه الاحمال تحقيراً للعلماء لأن التعارب جعلت هؤلاء الأعداء الراعين الذين يخافون اسلام العداء يوماً حقيقة ان أفضل طريقة لطمس الحقائق ليست مهاجمتها بقوة بل الدفاع عنها بضعف

وقد عشنا هذه التجربة مراراً عديدة في لاسلام وهي الجماعة الاعلامية العلمية وخصوصاً في الحوزة العلمية الشيعية ورأينا ان نتائج الهجوم المباشرة كانت مكسرة دائماً.

٥ - التبليل «المذهب الوهابي» الجديد وتضخيم هذه الفرقة التي لم يسمع أحد في ايران باسمها من قبل وسب كل ذي فهم وشعور الى

هذه الفرقة الضالة .

٦- عزل المجتمع انشيعي عن كيان الامة الاسلامية واتسار  
الخراب الطائفية والاحقاد السابقة من جديد وتبديل الخلاصات المنطقية  
الموجودة بيننا وبين الاخوة اهل السنة الى براع وخصام عميق وهذه  
هي الحطة التي عمل بها الاستعمار منذ القرن التاسع عشر لتمزيق وحدة  
المسلمين.

٧- اثارة المواطن وافتعال الفتن واحتلاق النزاعات الشديدة  
نصرف الأذهان عن العدو وخطاره ومؤامراته. فلم يكن امراً عموماً ان  
يعلم احدهم من على سبيل الاسلام: «ان اسرائيل هي خير لنا - نحن  
الشيعة - من فلسطين فإن اسرائيل ليست عدوة لأهل البيت وانما العدو  
هم الفلسطينيون لأن اليهود أعطوا «فدك» لأهل البيت وسلبها هؤلاء  
منهم!»

٨- سفيد الخطة الاستعمارية القديمة التي رسمها علماء  
الاجتماع للمستعمرين: «حافظوا على الدين للوام وروجوا الإلحاد  
بين المفكرين»

٩- تجنب رواج الاسلام القرآني والفتح الطوي والحيولة دون  
تعرف الناس على الامة والمجاهدين الشيعة بحقوق الاسلام  
الأصيل وتبديل «ولاية المشايخ» الى «ولاية مقدمة تحررية تصارع  
الجور والجهل والجهل»

١٠- الشعور بخاطر جفاف ينابيع الرزق والشرف اعني: الجهل،  
الطاعة، التقليد!

١١- مثل اقوى قاعدة للدعوة الاسلامية العالمية وأحد المراكز  
الرئيسية لإنتاج الفكر والثقافة الاسلامية (ايران) والتي كان المسجون  
في شرق ووسط آسيا (مسلمو لقفار والهند وبنارس وباكستان  
واندونيسيا وماليزيا وحتى الصين) يستضيفون نور ثقافتهم لسطح  
ويترقون من معين علمائها وادبائها وشعرائها

١٢- قطع العلاقة وزرع بذور التفاف بين المفكر والجمهور  
والعورة والجامعة والحديث والتدريج والعامي والجهل والمصنف  
والعامي... لأنهم يريدون الإلحاد للمفكر والتعصب للعامي والملاهي  
للشباب والمساجد للشيوخ الطاعين في السن

١٣- كل حركة فكرية اسلامية تحاول طرح مبادئ «معرفة  
الذات» بشكل اسلامي تقدمي لا يذللها ان تموت قبل ولادتها، فان  
ولدت، لا يذللها ان تنشأ، وان لم تغل لا يذللها ان تشوه وتلوث وتطرد  
ولا سيتغير كل شيء... ولا يذلل لا يتغير أي شيء!

\* \* \*

ص: مع انكم دعوتكم أصحاب الرأي والقلوب الى نقد آرائكم  
وأبدىم بذلك حسن سكم إلا أنكم لم تعدلوا الحد الان عن آرائكم حتى

لمرة واحدة هل يعني هذا ان جميع آرائكم هي في غاية الاتقان وعارية من أي اشكال؟

ج: ان الذي يجري حوالي هو مؤامرة متمدة ومتقنة وواسعة النطاق وليست قضية نقد علمي أو عقائدي.

فالذي يقرأ قصة الخدير وقصة وفاة النبي ودراساتي لشخصيات الصحابة وعلاقاتهم الخاصة وقصة عصية أبي بكر ووقوفها بوجه علي وكلماتي الخاصة التي تفتّر من حبي واخلاصي ومدى حيرتي أمام عظمة علي ثم يقوم بعد ذلك بتعريض السذج من الناس بأبواب الضجيج والمرارة والسب والشتم والبهتان ويتهمني بالعداء للتشيع والاسلام، لا يقوم بهذا عقولاً وإنما هي مؤامرة مدروسة متقنة، فكل من قرأ كسبي المنتشرة في كل مكان - يعلم انني بدأت الكتابة باسم «أي ذر الغفاري» وكان عنوان آخر ما كتبه حتى الآن «التشيع الاحمر والتشيع الاسود»، فقد كترت حياتي الفكرية وكلّ أيماني للدفاع عن مدرسة علي والولاء للعترة الطاهرة والشعور بالمسؤولية تجاه النهضة الشعبية التحريرية الثورية الصادقة. فأنني لا أنظر الى حوادث ما يعد النبي من مطلق شعبي محسوب، بل أنظر الى مسيرة التاريخ البشري ككل من هذا المطلق (الحسين وارث آدم) وأعدّ فاطمة (س) حلقة الوصل بين سلسلتي النبوة والامامة أي المرحلتين الأساسيتين في القدر التاريخي للمعادلة والخلاص - كتاب (فاطمة هي فاطمة)، فالذي لم يقرأ كتابي فإنه سميع

يناولونها على الأقل فقد نشر لي في السنتين الماضيتين فقط الكتب التالية:

«الحسين وارث آدم»، «الانتظار ومذهب الرض»، «التشيع الملوي والتشيع الصموي» «الامة والامامة في علم الاجتماع»، «الدعاء مدرسة السجادة والاحتياج والوعي والجهاد»، «القيمة حزب كامل»، «التشيع الأحمر»، «علي: ثلاث وعشرون سنة جهاد من أجل الرسالة، خمس وعشرون سنة سكوت من أجل الوحدة وخمس سنوات صراع من أجل العدالة»، «علي، الانسان الكامل»، «وحدة علي»، «لو قال علي: نعم»، «علي حقيقة تشبه الأساطير»، «ما هي الحاجة الى علي؟»، «عصرنا يبحث عن علي»، «حياة علي بعد الموت»، «علي روح واحدة ذات عدة أبعاد»، «فاطمة هي فاطمة»، «مسؤولية الصيبي»، «أبو ذر في المواجهة مع عثمان»، «نعم، هكذا كان يا أخي»، «الجهاد = الحسين، ما بعد الشهادة = زنب»، «القاسطون، السارقون والتاكفون» و...

وقد كتب غيري في حسينية الارشاد.

«الخلافة والولاية من وجهة نظر القرآن ولسة»، «علي شاهد الرسالة» و «موجود الأدان» للاستاذ محمد تقى شريعتي و «جدايه ودافعة علي» و «الولاء والولاية» للاستاذ مرتضى مطهري و... وأكثر من متني محاضرة خاصة بمواضيع مدرسة اهل البيت (ع) ألفاها

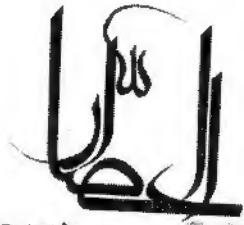


متأهين الخطباء في حسينية الارشاد ومع كل ذلك تلاعنون ان هذه الجماعة تصر على افتعال الإشاعات وإثارة الضجة واختلال أنواع التهم وانتائم رغم كل هذه الخدمات والناجيات العلمية.

فكل ما كتب وقيل لم يكن نقداً علمياً، لا اريد ان اقول ان كل ما كتبه ليس قابلاً للنقد ولكني اقول ان كل ما سمعته لم يكن نقداً علمياً فإذا كنتم تقصدون اني اصبر على كلامي ولا أقبل كلام غيري فابكم محظون لأن كل من قرأ كتبي أو حضر دروسي يعلم جيداً اني أهد نفسي قبل أي شخص آخر وأكثر من أي شخص آخر وعندما أتوسل الى مسألة جديدة تصحح آرائي السابقة فاني أبادر بإعلانها والاعتراف بها فور التوصل اليها وحتى أثناء الحصة الدراسية التي لا ترتبط بها أنا بالنسبة للاهتمام بأراء الآخرين فاني أعطي ما أكتب دائماً الى طلبتي ليدلوا بأرائهم حولها واني أقبل هذه الآراء في غالب الأحيان، كما يعلم كل الذين تعاملوا معي ان لي ادناً صاغية ومصدراً رحيماً أراء أي رأي اصلاحي أو أي نقد بناء بل حتى أترجى الآخرين ان يقدوا آرائني أما أنا فأصصح دائماً وهي كل درس او محاضرة تقريباً رأياً من آرائني وأعلن دائماً ان ما اقول هو مجرد رأي ليس إلا وأضع الميكروفون بين يدي كل من يريد التحدث في جلسة عامة بعد كل ساعتين دراسيتين ليتحدث ثلاث أو أربع ساعات، وقد جاقوا وحدثوا وحتى تفضلوا علينا بالاهانة؟ وما كان معي ومن طلبي ومن الحسنية إلا أن نسمع ونصبر ونشكر!

أما اذا كنتم تقصدون رد فعلي ازاء سبيل التهم والتهجمات والإشاعات الواسعة النطاق التي أثاروها بشكل مستمرين وجاهلها بأذنين أصمتين ولسان أبكم فلكم الحق في ذلك ولكني لا تحبط هذه الجماعة في تفسير هذا الكلام على ان اقول انني سوف لا اسكت ابداً عن اولئك الذين لا يأثرون جهداً في خداع الناس وطمس كل فكرة وحركة تسمى لإحياء الايمان وتوعية الاهلكار ومن اولئك الذين يصورون إمام الشيعة بصورة مرتزق يسترحم الخليفة، ويصورون الحسين العظيم بصورة مضطرب يسترحم الشعب، وسوف لا اسامو ولا اصحتي بالحقيقة من أجل مصلحتي الخاصة حتى لو صلبوني وسحقوني وكثروني ورجاني وتوقيني من كل من يشعر بالمسؤولية تجاه ادين وناس وخصوصاً علماء الشيعة الحقيقيين أن يعيوني في هذا الطريق. ولما اولئك القوم هأنهم قد يستظفون أن صلبوني كما صلبوا «عين القضاء» أو يحرقوني كما حرقوا «جربادو» لكنهم لن يقدروا أن يسمعوا مني صوت «آء» واحدة، وكما قال أبو در: لو ضغط سلمان عثمان وعبد الرحمن وكعب الاحبار (مثلت اسلطة والذهب والتزوير) السيف على بحري ولم يبقى معي إلا نفس واحد مسألط ذلك النفس يقول كلمة حق، من أجل تشيع الملوي الذي يؤمن به بكل وجودي حتى لو لم يكن هذه الكلمة لا تصب في صالح التشيع الصغوي!

والسلام



مؤسسة الجفر الزهر الثقافية

E-mail: [jafar\\_zh\\_attar@yahoo.com](mailto:jafar_zh_attar@yahoo.com)

## فهرس الموضوعات

١٧	مقدمة الطبعة الفارسية
١٨	ملاحظات الناشر
٢١	كلمة بخصوص الترجمة
٣٣	الدين ضد الدين
٢٩	الكفر
٣٠	الشرك
٣١	عبادة الأوثان
٣٢	خصائص دين الشرك
٣٣	الترجيح
٣٦	المسامري
٣٦	يلمع بن باعورا
٣٧	الفريسيون
٣٧	مشرك مكة
٤٠	مأهبة الدين النوري
٤٢	مأهبة الدين التبريزي

## فهرس الموضوعات

٤٣	الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
٤٣	استمرار دين الشرك
٤٤	قاعدة حماية دين الشرك الاجتماعية
٤٦	العامل الرئيسي في دين الشرك
٤٦	الدين الانبيائي
٤٧	المرجئة في التاريخ
٤٧	حركة دين الشرك
٥٣	الله والناس
٥٤	اتباع الطوائف
٥٩	دين الكفر ودين الاسلام
٦٠	هجرة دين الكفر على التاريخ
٦١	العمال مال للناس
٦٢	عياض الله
٦٣	دعم التمييز الطبقي والعناني
٦٤	الرب والخائف
٦٤	المدينة المنورة رمز للمجتمع المثالي
٦٧	الدين في ايران
٦٧	الطبقة الأولى والطبقة الثانية
٦٨	الطبقة الثالثة
٦٩	رجال الدين المجرسون وتبرير التمييز الطبقي
٧٢	أنبياء دين الترجيح

٧٢	دين الشرك الجلي والخبثي
٧٧	خطا المفكرين
٧٧	رسالة العلماء والمفكرين
٨٧	نعم ، هكذا كان يا أخي
١١٧	توينبي ، الحضارة - الذين
١١٩	حوار مع توينبي
١٢٥	وداعاً يا مدينة الشهادة
١٤٢	لولا اليايا وماركس
١٥٩	ندوة للاجابة على الامثلة والانتقادات
٢٠٧	مقتطف من حوار مع أحد الطلبة الجامعيين



لشم بهمه

تاريخ افتتاح هذا المبنى

١٤/١٠/٢٠١٠



حزني والمني الوحيد هو انني لم استطع ان اتمني  
اعمالتي ، بل انني لم استطع الاستمرار بها وستبقى  
تلك غصة مائكة اقامي ، هذا من جانب ، ومن جانب  
آخر فان حزني والمني على الكثير من اعمالتي  
الرئيسية بقيت اسيرة زحمتها ، ومهددة بالزوال ، وما  
نشر منها طبع على شكل مسودات مليئة بالغلط ،  
وذلك لقلة الامكانيات وكثرة المشاغل.

يجب عدم النظر الى اعمالتي على انها اعمال علمية  
تحقيقية فحسب ، بل يجب ان تخلقا كصرفات ، من  
شدة الالم والاسى ، وذلك باتجاه الطريق وهزات من  
اجد الصحة / ومساعد على الطريق ، ونظرات كلية  
في اطار الدين ودعوة واحدة ورؤي ، واخيرا نوعا من  
التصنية الفكرية والروحية في المجتمع.

كل ذلك كتبه وانا متقي وتحت ظروف ضاغطة ،  
ومؤمرات محاكم ، وفي حال كنت انتظر فيها  
المصيبة في كل لحظة ، لذلك يجب ان يعاد النظر  
في هذه الكتابات من الناحية العلمية والفنية ،  
وتصحيح الاخطاء اللغوية والمعنوية وتصحيح مرة  
اخرى ، فهي ثمرة حياتي وكلها اتحدى ، وهي كل  
وجودي وميراثي.

ان لطف الله وحرقة اوليائه بالدين ، جعلتني اتكلم  
في هذا السكون المجلب ، في زمان اصبحت نفقد  
فيه كل شيء ، فاجتأنا تصاني من مسخ هويتها ،  
وعديرتنا العذب في حال الجفاف وهذه هائلتنا  
الشامخة بقيت بلا مدافع عنها امام الهجمة  
والغوغائية حتى اقتضى من الصعب ان يجد كلامي  
طريقه بين آلاء الاحقاد والام التي تحمِلنا.

من وصية الدكتور شريعتي



دار

الفكر الجديد

العراق. الاله الاشراف

٠٧٨٠١٠٣٦٠٠٨ \* ٠٧٨٠١٥٨١٤٧١